

رواية

رمانه

إبراهيم طه شوكت

الطبعة الأولى
الكتاب : رمانة
المؤلف : إبراهيم طه شوكت
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : محمد جمال
إخراج : احمد عبد الحليم
المقاس ٢٠ × ١٤
رقم الإيداع : ١٦٣٦٣ / ٢٠١٥
الترقيم الدولي : 8 - 092 - 776 - 977 - 978

دار يسطرون



طباعة وتوزيع الكتب فى جميع أنحاء العالم

المكتبة والطباعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة

شارع الملك فيصل - الجيزة

جمهورية مصر العربية

٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢ - ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩

مدير الإنتاج : أحمد عبد الحليم

رئيس مجلس الإدارة : عماد سالم

بريد إلكترونى : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بداية الرحلة

هبط الرجل من القطار تصحبه ابنته ذات الأربعة عشر ربيعاً
.... الفتاة متعلقة به في ذهول؛ وتسير معه بلا إرادة وكأنها تائهة..
تمسك ذراع أبيها بيمينها، وتحمل بيسراها صرةً صغيرة بها
ملابسها. سارا وسط الزحام إلى أن خرجا مع الخارجين من محطة
السكة الحديد إلى ميدان رمسيس؛ ولما كانا بالميدان؛ وقفا مبهورين
بالزحام، والعمارات الشاهقة، وحركة المركبات وكثرة البشر.
أدخل الرجل يده في جيبه وأخرج مظروفا مغلقا؛ عليه اسم
وعنوان ونظر إلى المارة ثم استوقف أحدهم وسأله :

- والنبي ياسيدنا البيه؛ العنوان ده فين؟

تناول الرجل المظروف وقرأ ما عليه من عنوان ثم قال:

- العنوان ده في الهرم

قال الفلاح :- وإزي أروح الهرم؟

قال الرجل : - تركيب ميكروباص الهرم وتنزل محطة اسباتس
وتسأل على العنوان ده

سأله الفلاح : - وفين الميكروباص ده اللي بيروح الهرم ؟
أشار الرجل الى موقف الميكروباص ثم انصرف توجه الفلاح
وابنته حيث أشار الرجل فوجدا صبيا ينادي هرم... هرم فقال
الفلاح :- عايزين نروح الهرم

قال الصبي :- اركبوا

ركبا السيارة ولما اكتمل العدد انطلقت السيارة.. قال الفلاح
لراكب بجواره وقد أعطاه المظروف :

- والنبى يا بيه عايزين نروح العنوان ده

قرأ الرجل ماعلى المظروف ثم قال له :- تنزل محطة
إسباتس وتسأل على العنوان ده.

سأله الفلاح :- وفين إسباتس دي؟

قال الرجل موجهها كلامه للصبي مساعد السائق :- لما تيجي
محطة إسباتس إبقى نزله

هبط الرجل وابنته في محطة إسباتس، وتلفت يمنة ويسره ؛ ثم
سأل أحد المارة :

- والنبي يابيه فين العنوان ده ؟

قرأ الرجل العنوان ثم أشار إلى الشارع المقابل قائلاً :- هو ده
الشارع اسأل فيه على العمارة اثنين وعشرين

سار الفلاح في الشارع ومعه ابنته ؛ وأوقف أحد المارة
وسأله :- والنبي لو سمحت فين العمارة اثنين وعشرين؟

أشار الرجل قائلاً :- تسيب عمارتين وهي الثالثة

وصل الرجل وابنته إلى العمارة رقم اثنين وعشرين فوجدا
أمامها البواب جالساً على دكة خشبية . ألقى عليه السلام و سأله
- لو سمحت هو ممدوح بيه ساكن هنا ؟

أجاب البواب: - أيوه الدور الخامس شقة سبعة

توجه الرجل وابنته صوب السلم ، وهما بالصعود ، إلا أن
البواب استوقفهما قائلاً:- اركبوا الأسانسير

نظر الفلاح إليه باستغراب قائلاً . - فين ده ؟!

أدرك البواب أنه لا يعرف المصعد ، فقام وفتح لهما باب المصعد وأدخله هو وابنته ، ودخل معهما ، ثم صعد بهما إلى الطابق الخامس . التصقت الابنة بأبيها وهي ترتعد خوفا عندما كان المصعد في صعود .

فتح البواب باب المصعد ، وخرج بهما إلى الشقة السابعة وضغط على زر الجرس ، فتح الباب عن سيدة شابة جميلة قال لها البواب :- أختينا ده بيسأل عن ممدوح بيه سألت السيدة الفلاح :- أنت عايز ممدوح بيه ؟

أجابها الفلاح :- ايوه ياست هانم

سألته السيدة :- نقول له مين ؟

أجابها الفلاح :- أنا عبد الواحد إسماعيل ومعاي جواب من حضرة العمدة

أدخلتهما السيدة ، وأجلستهما في الصالون ، ونادت :- كلم يا ممدوح

قال ممدوح :- مين يا سالي؟

قالت سالي :- واحد جاى من الفلاحين وبيسأل عليك ، ومعاه جواب من العمدة والظاهر باعت لك الشغالة اللي قلت له عليها .
دخل عليهما ممدوح ، فهب الفلاح واقفا هو وابنته ، وقدم عبد الواحد الخطاب إلى ممدوح فتناوله وقال له :
- اقعد يا.....

قال عبد الواحد :- عبد الواحد إسماعيل يا بيه
فض ممدوح الخطاب وقرأ ما فيه ثم قال له :- والعمدة ازيه ؟
رد الفلاح :- بخير وبيسلم عليك .

قال ممدوح موجهها كلامه إلى زوجته : , العمدة باعت الشغالة .

قالت سالي موجهة كلامها إلى الفتاة , اسمك إيه شاطرة؟

ردت الفتاة ببراءة :- اسمى رمانة

داعبتها السيدة قائلة :- وليه سموك رمانة ؟

قالت الفتاة :- أمي قالت لي واني صغيرة كنت شبه

الرمانة وعشان كده سميتك رمانة

ضحك الجميع .. أخرج ممدوح من جيبه بعض النقود وناولها عبد الواحد الذى أخذها وهو يقول : ربنا يخليك يا بيه ويوسع رزقك .
ثم وجه كلامه إلى ابنته قائلاً: - مش هاوصيك يا رمانة
تسمعى كلام البيه والست هانم , وعاييزها تنبسط منك .
ردت رمانة:- حاضر يا ابا

ذهبت السيدة سالي إلى المطبخ , وأعدت كوبين من الشاي
وجاءت تحمل الصينية , فقام عبد الواحد قائلاً :- العفو يا
ست هانم , قومى يا رمانة خدى الصينية من حضرة الست .
قامت رمانة وأخذت الصينية ووضعتها أمام ممدوح , إلا أنه
قال :- لا يا رمانة ده عشانك إنت وأبوك .

استدارت بالصينية ووضعتها أمام والدها وجلست بجواره ،
شربا الشاي , ثم قام عبد الواحد وقال:- أي خدمة يا بيه ؟
قال ممدوح :- لا شكرا.

قال عبد الواحد :- أستأذن بقى يا بيه ..

قال ممدوح :- مع السلامة يا عبد الواحد . ابقى سلم على العمدة

رد عبد الواحد :- يوصل يا بيه

انصرف عبد الواحد .. قالت سالي لرمانة :- تعالى يا رمانة .. ده المطبخ .. وده الحمّام .. خشى بقى الحمام استحمى وغيري هدومك . دخلت رمانة الحمام ووقفت حائرة كيف تستخدم الحمام ؟ خرجت من الحمام فوجدت سيدتها جالسة في الصالون , قالت لها :- فيه إيه يا رمانة ؟

قالت رمانة ببراءة .- تسمحي يا ستي توريني الميه فين ؟

ضحك ممدوح وسالي , قامت سالي وذهبت بها إلى الحمام وفتحت لها صنوبر الماء والدفش ثم تركتها .

اغتسلت رمانة ... إنها المرة الأولى التي تستحم فيها في مكان نظيف كهذا , وبدون أن تستخدم الطشت والكوز . وأحست بانتعاش وارتدت ملابسها، خرجت وكانت فعلا كالرمانة في جمالها وبراءتها .

قالت لها سالي :- تعالى يا رمانة .

دخلت بها المطبخ , وبدأت رمانة تساعد سيدتها في عملها . وسمعت رمانة طفلة تنادى :- ماما

- قالت سالي :- أيوه يا سونيا انا هنا في المطبخ .

دخلت سونيا المطبخ ... طفلة في الرابعة من عمرها , جميلة
كأمها ,, سألت الطفلة :- مين دى يا ماما ؟

قالت سالي :- دى رمانه الشغالة الجديدة.

قالت الطفلة : - اسمها رمانه !؟

قالت الأم موجهة كلامها إلى رمانه :- دى بنتى سونيا ,
ماعنديش غيرها وهي كل حياتي , عايزاك تحطيهما في عينيك .

قالت رمانه :- حاضر يا ست هانم , ربنا يخليها لك

قالت سالي :- هى بتروح الحضانه لكن النهارده الجمعة
أجازة واحنا كمان عندنا أجازة ... على فكرة , انا عايزاك تتعلمي
كل حاجة بسرعة عشان أنا هاعتمد عليك في حاجات كثير .

قالت رمانه : - حاضر يا ست هانم

وبدأت رحلة الطائر الحزين....

الفصل الأول

بدأت رمانة تعي كل شئ بسرعة وبدأت أيضا ترتاح لمعيشة هذه الأسرة ، فقد أصبحت تأكل ما لم تكن تأكله في بيت أبيها ، كما أنها أصبحت دائمــــة الاستحمام نظيفة الملابس ، تنهض من نومها في الصباح الباكر وتقوم بمساعدة سيدتها في إعداد مائدة الإفطار ، حتى إذا تناولت الأسرة طعامها وجاءت سيارة المدرسة حيث حضانة الطفلة ، صحبتها حاملة حقيبتها إلى أن تستقل السيارة ، ثم تعود إلى الشقة . يخرج ممدوح وتلقي إليها السيدة بتعليماتها وما تريد شراءه من السوق ، وتعطيها النقود وتنصرف . تجلس رمانة إلى المائدة وتتناول إفطارها مما بقي من الطعام أو كان مخصصا لها ثم تخرج لتشتري ما أمرت به السيدة ، وتعود حاملة ما اشترته ، وتضعه في المطبخ ، ثم تخلع جلبابها وتظل بالقميص ، وتقوم بتنظيف الشقة وترتيب ما يلزم ترتيبه ، حتى إذا ما انتهت من عملها دخلت الحمام واغتسلت ، وارتدت جلبابها ، فلم يكن بالشقة أحد تخشاه أو تخجل منه .

كانت تمر وهي خارجة إلى السوق بسيد البواب وتسأله إن كان يريد شراء شئ من السوق فتحضره معها الأمر الذي جعلها تنال عطفه ورضا زوجته .

أحبها كل من تعامل معها بائع الفاكهة ، الجزار ، بائع الخضروات ، المكوجي ، ... كان الجميع يرحبون بها ، خصوصا بائع الفاكهة الذي كان يستبشر بوجهها الصبوح قائلا لها : اليوم اللي بتيجي فيه بيبيض يوم أبيض. و زي الفل .

و رغم أنها كانت جميلة ، لم يحاول أحد من أهل الحي أن يتعدى حدوده معها ، فقد كانت براءتها تفرض على الجميع احترامها ، كما إنها كانت تلتزم جانب الجد رغم حديثها الحلو ... أضف إلى هذا مسحة الحزن التي كانت تعلق وجهها البرئ ، لأنها تركت والديها وأخوتها وبلدتها ، كما كانت أخلاق الريف المصري متأصلة فيها .

ألفت رمانه الحياة في هذا الجو ، واعتادت عليه ، وقد أحببتها سيدتها سالي لأنها مطيعة دائما ولا تكل من العمل ، أو تبدي تبرما ، كما إنها أصبحت في إطار ما أرادته سيدتها لها .

تعرفت رمانه على مثيلاتها من خادמות العمارة ، ولم يكن كثيرات فكان من السهل تعارفهن ، وكن أحيانا يتقابلن في السوق ، او عند

العودة منه ذات مرة قالت لها إحداهن وهما راجعتان من السوق

- خنصرت كام النهارده ؟

- يعنى إيه خنصرت كام ؟

- يعنى علقت كام من المصروف ؟

- تقصدى إيه ؟ أنا مش حرامية !!

- يا بنت دي مش سرقة .

- أمال تبقي إيه !!؟؟

- تبقي تعبك وشقالك ..

- أنا بأخذ ماهية على شغلي

- ويعنى الماهية كفاية ؟؟

- كفاية والحمد لله .

- أنت أصلك وش فقر !!!

- وش فقر وش فقر بس مش حرامية ولا خاينة .

- يعنى انا إللى حرامية وخاينة !!؟؟

- أنا ماليش دعوة بيك.. انت حرة في نفسك .

وتركتها وسارت بعيدة عنها ، ثم أصبحت تتجنبها بعد ذلك .
كان ممدوح مشغولا دائما بحكم عملة كمهندس ، وسالي ،
أصبحت غير مشغولة على ابنتها ، فقد اطمأنت عليها لوجود رمانة
معها أثناء غيابها ، ولم تعد متلهفة على الرجوع إلى المنزل .
تعلقت الطفلة برمانة ، وكانت تجد سعادتها في جلوسهما معا ،
وسماع حديثها عن قريتها وأهلها وعاداتهم ولما كانت سونيا
وحيدة ورمانة غريبة فقد وجدت الاثنتان نفسيهما تذوبان معا في نفس
واحدة .. كانت الطفلة تجد فيها اختا لها تبادلها الحب وكانت
رمانة تجد في سونيا اختا تعوضها عن اخوتها البعيدين عنها .
كان ممدوح يعمل مهندسا بمصلحة المساحة ويبلغ من العمر
حوالي الخامسة والثلاثين عاما اما زوجته سالي فقد كانت تعمل
مهندسة زراعية بمصلحة الزراعة وتجاوزت الثلاثين عاما بقليل
وقد تعرف ممدوح على عمدة كفر سلامة عندما كان منتدبا
لانتخابات مجلس الأمة في هذه القرية وقد طلب — حينذاك
— من العمدة أن يبحث له عن فتاة من أسرة طيبة تعمل
لديه خادمة . وقد وعده العمدة بإجابة مطلبه عندما يجد
فتاة يرتاح إليها وقد وجدها في رمانة وأرسلها إليه .
أول كل شهر يعطى ممدوح رمانة راتبها وتعطيها سيدتها

بعض الفاكهة والمأكولات وتساfer إلى قريتها فيستقبلها أبوها وأمها وأخوتها بالترحاب اما أخوتها فقد كان مجيؤها عيدا لهم لما تحمله من مأكولات وفاكهة و طعام لم يذوقوه وفاكهة لم يألفوها وتنتعش الأحوال المادية للأسرة لما تمدهم به من مال وتقضي بينهم يومين أو ثلاثة ثم تعود إلى عملها وكانت تشعر بشئ من الحزن عندما كانت تودعهم وكان مما يخفف عنها وطأة الحزن وألم الفراق أنها لم تعد تعمل في الحقول أجيرة في الصيف الحار وفي الشتاء البارد .

كانت تشعر أنها مجبرة على هذا العمل ولكن ماذا تفعل والأسرة فقيرة وتحتاج إلى المال وهي الابنة الكبرى التي يجب أن تساهم في تحمل أعبائها ؟ رغم هذا الإحساس فهي تؤدي عملها بإخلاص وحرصا على (لقمة العيش) كما أن فتيات الريف لم يعتدن أن يعصين لأبائهن أمراً .

كل هذا تقبلته عن نفس راضية الشئ الذي كان يجعلها تشعر بالمرارة هو فراقها لأهلها وكم كانت تتمنى لو أن هذا العمل كان بالقرب من أهلها ولما شعرت بهذا الشعور

أعدت لها سيدتها ملابساً لترتديها لتناسب حياتها معهم ، وعندما تسافر إلى بلدها لم تكن ترتدى هذه الثياب ، وإنما كانت ترتدى جلباباً من جلابيب أهل قريتها حتى لا تشعر بالخجل

أذا راوها في هذا الثياب

كانت تجلس مع سيد البواب وزوجته وأولاده عندما تفرغ من عملها بالشقة ولا تجد ما تفعله ، فتجد تسريتها مع البواب وأهله ، وقد أحبوها وعدوها واحدة منهم .

أحضرت سالي كراسة وقلما وقالت لرمانة : عايزه أعلمك القراءة والكتابة عشان أبقى أكتب لك الطلبات في ورقة وما تنسيش حاجة .

قالت رمانة : - يا ريت يا ستي .

جلست إليها تعلمها القراءة والكتابة .. ودهشت سالي لسرعة استجابة رمانة للتعلم ، وأصبحت سيدتها تكتب لها ما تريده حتي لا تنسي شيئاً، وعندما أخبرت أباه وأمه وأخوتها بأنها أصبحت تعرف شيئاً من القراءة والكتابة انبهروا جميعاً بهذا الخبر، ونظروا إليها بإعجاب وتقدير كما لو أصبحت تملك شيئاً نادراً صعب المنال .

أصبحت رمانة تجيد عملها تماماً دون إنتظار أوامر أو تعليمات من سيدتها، الأمر الذي جعل سيدتها تزداد حبا لها .

وكانت سالي تقول لزوجها : البنت دي هدية من السما ، العمدة كتر خيره على هديته دي .

حتى ضيوف ممدوح وسالي ومن يزورهما كانوا يحسدونهما على خادمتهما الجميلة النظيفة المطواعة .

ذات مرة كان الأستاذ عبد الرحمن وزوجته في ضيافة صديقه ممدوح . قال عبد الرحمن لممدوح : انت جيت البنت دي منين ؟ قال ممدوح : أنا كنت منتدب في الانتخابات في كفر سلامة وهناك اتعرفت على العمدة وطلبت منه يشوف لي بنت كويسة بصيت لقيته باعت لي رمانة .

قال عبدالرحمن :- يا ريت تخدمني وتشوف لي بنت زيها.... هيه معندهاش اخوات ؟

قال ممدوح :- أعتقد أن عندها اخوات .

قال عبدالرحمن : طيب يا أخي ما تشوف لي واحدة منهم .

قال ممدوح :- الحقيقة اللي بعثها هو العمدة إنما أنا ما اعرفهمش

قالت سالي :- احنا نسأل رمانة

ونادت رمانة وسألتها :- إنت عندك أخوات بنات ؟

- أيوة يا ستي لي أخت أصغر مني اسمها صابرة

- طيب لما ترجعي البلد أسألي ابوك لو كان يوافق يبعث أختك

صابرة تشتغل عند الأستاذ عبد الرحمن وإذا وافق هاتيها معاك .

- حاضر يا ستي

وعندما رجعت رمانة إلى قريتها حدثت أباهما في هذا الأمر
فرفض بشدة رغم احتياجه للمال وقال : - كفاية انت يا
بنتي مش هابعت حد تاني يشتغل بعيد عني .

وعندما عادت رمانة إلى عملها أخبرت سيدتها بما قاله
أبوها فأخبرت سالي زوجة عبد الرحمن التي قالت : - يا خسارة
مالناش في الطيب نصيب

★★★

مرت سنتان ... نما جسد رمانة نموا مثيرا أصبحت ابنة
السادسة عشر ربيعا فتاة يافعة كالرمانة التي تم نضجها . نظرت
إليها سيدتها يوما وقالت لها :

- ياترى يا رمانة لما تتجوزى حتسيبينا !!!

قالت رمانة - لا ياستي أنا حاشترط عليه إنني أفضل عايشة معاكو .

ورغام ما بدا على رمانة من جمال وإثارة فإن هذا لم يثر في
نفس سالي أي شك فيها فهي امرأة جميلة تزوجت ممدوح بعد
قصة حب ملتهب كما أن رمانة كان بها من سمو أخلاق أهل

الريف ما لايسمح لأحد أن يشك في أخلاقها.

أما ممدوح فقد كان طوال السنتين الماضيتين لا ينظر إلىرمانة إلا نظرة السيد للمسود ولم يلفت جمالها انتباهه .

قال لها سيد البواب يوما وهي جالسة معه هو وزوجته :

- على فكرة يا رمانة انت حقك تسيبي الشغل وترجعي بلدكم وكفاية عليك كده .

قالت رمانة ببراءة :- ليه يا عم سيد !؟

قال سيد وهو ينظر إليها معجبا بجمالها :

- إنت يا بنتى كبرتِ وبقيتِ عروسة حلوة واللي في سنك وحلاوتك كفاية عليها كده .

قالت رمانة :- وعشان أنا كبرت ما اشتغلش !!!؟

- لا يا بنتى مش قصدى

- أمال قصدك ايه يا عم سيد ؟

قالت زوجته :- بصراحة يا رمانة هو خايف عليك

- من إيه يا خالتي !؟

- هو خايف عليك وخلص

- مش عارفة خايف علي ليه ومن إيه؟! أنا مش صغيرة!!!
- بصراحة يا بنتى أنت كبرت وبقيت حلوة قوى وممكن أى حد
يطمع فيك وعشان كده هو خايف عليكِ

- يا عم سيد أنا مش عبيطة وماحدش يقدر يضحك عليّ

قال سيد : - ربنا يسترها عليك .

كان سيد يتحدث كخبير وبحكم عمله كبواب يعرف الكثير من
الأسرار . انصرفت رمانه وظل سيد بمفرده مع زوجته ... قال لها :

- إيه رأيك يا أم كمال لو نجوز ابننا كمال البنت رمانه ؟

ردت زوجته :- يا ريت يا سيد البنت حلوة ومؤدبة ..

وطوع ... وشاطرة

- خلاص لما يبجي كمال كلميه وخذى رأيه

- ودى فيها رأي يا ابو كمال!!!

- إذا وافق أسافر عندهم البلد وأقابل ابوها وأخطبها

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل الثانى

وجاء يوم

عاد ممدوح من عمله مبكرا على غير عادته ، فقد شعر ببعض الإرهاق من كثرة العمل ، فاستاذن رئيسه وانصرف ، فتح باب الشقة ودخل ، وجد رمانة جالسة على الأرض متكئة على أحد المقاعد وقد راحت في سبات عميق ، لم تشعر بسيدها عندما حضر..نظر إليها ممدوح كمن يراها لأول مرة .. تمثال جميل من المرمر أبدعه صانعه ، وقد انحسر الثوب عن نصف صدرها وجزء من ساقها ظل ممدوح واقفا فترة وهو ينظر إلى هذا الجمال النائم تحوطه الفتنة والإثارة ذهب عنه التعب ، احتل الشيطان جسده وأطل من عينيه ، سرت فيه رغبة شيطانية.. جلس بجوارها في هدوء ووضع يده على صدرها متحسسا، أحست به رمانة فهبت واقفة مذعورة وهي تضع يدها على صدرها لتخفيه . قالت :

- انت جيت يا سيدى !!

وحاولت أن تبتعد لترتدى جلبابها إلا أن ممدوح اعترضها

قائلا : استنى يا رمانة

وطوقها بذراعيه، وحاولت أن تتخلص منه قائلة: - إيه يا بيه فيه إيه إيه؟!

قال ممدوح وقد ضمها اليه فى قوة: - مافيش حاجة اسمعى الكلام

ثم دفعها إلى حجرة النوم وهى تقول: - كلام إيه يا بيه!

قال ممدوح: - طبعا انت عارفة انا عايز إيه

قالت رمانه: - لا والنبي يا بيه اعمل معروف ربنا يخليك

قال لها: - ماتخافيش يا رمانه ..

كان يواصل دفعها إلى أن أصبح السرير خلفها .. دفعها

فوقعت على ظهرها فوق السرير .. هجم عليها ... قالت رمانه

: انا حازعق وألم الدنيا

قال ممدوح فى صيغة التهديد: - لو عملت كده حادلك السجن .

- ليه يا بيه؟؟

- حاتهمك بالسرقه وأدخلك السجن .

- حرام عليك يا بيه .

- أسمعى الكلام .

- شرفى يا بيه .. انا زى بنتك .

- قلت لك ماتخافيش .

- ماقدرش يا بيه.. شرفي

- خلاص أجيب لك البوليس واتهمك بالسرقة وأدخلك السجن .

خارت قواها فقد خافت من تهديده لها .. صور لها خيالها القاصر أن ممدوح يستطيع فعلا أن يدخلها السجن، كما أن جهلها وعدم خبرتها جعلها تعتقد أن بإمكانه أن يفعل ما يهدد به ... فقدت وعيها وتهافت منهارة على السرير ولم تعد تدرى شيئا قضي ممدوح رغبة الشيطان .. قام بعدها قائلا : أنا هادخل الحمام وأنت قومي البسي هدومك ..

دخل ممدوح الحمام، أما هي فقد ظلت ترتعش وتبكي بشدة .. كانت ترتجف من هول ما حدث ومما كانت لا تتوقعه .. قامت متخاذلة تجر ساقها جرا وارتدت ملابسها بصعوبة واتجهت صوب الباب وفتحته واستقلت المصعد هابطة ووجدت سيد البواب جالسا على دكته أمام العمارة . قالت له : - والنبي يا عم سيد تدينى جنيه سلف ..

نظر إليها سيد فوجدها باكية فقال لها : - إيه يا رمانة

!! بتعيطى ليه ؟؟

- مافيش حاجة يا عم سيد بس والنبي ادينى الجنيه قوام ..

- يا بنتى طمني في فيه إيه ؟؟؟

- ماعليهش يا عم سيد بعدين هاقول لك بس بسرعة اديني الجنيه ..

استجاب سيد لرجائها وأعطاهما الجنيه فأسرعت خارجة تكاد تجرى، خرج ممدوح من الحمام ونادى عليها فلم يجدها ووجد باب الشقة مفتوحا، فاستقل المصعد بسرعة وهبط به فوجد سيد البواب جالسا على دكته فسأله : - ما شفتش رمانة ؟

- لسه ماشية وهي بتعيط

- بقي لها كتير ؟

- مش كتير قوي هي عملت إيه ؟؟

- أصل انا ضربتها.

- ليه يا بيه ؟

- كسرت فازه عالية .

أدرك ممدوح أنه لن يستطيع اللحاق بها فعاد إلى الشقة ووجد في حجة كسر الفازة مبررا معقولا فأمسك بالفازة وألقى بها على الأرض فانكسرت

دخل حجرة نومه واستلقي على السرير، وظلت الهواجس تدور في رأسه عما يقوله لزوجته عند عودتها، إن حجة كسر الفازة حجة معقولة ومبررا لادعائه ضرب رمانة كما أن زوجته لن يتطرق الشك إلى ذهنها في شئ مما حدث

إنها جريمة الصدفة التي لا يعد لها مرتكبها ؛ وإنما يرتكبها مصادفة بدون ترتيب لها .

حضرت سالي ونادت على رمانة فلم تجدها ووجدت زوجها راقدا على السرير في حجرة النوم ... قالت له :- إنت بعث رمانة مشوار ؟!
- لا يا ستي .

- أمال هي فين ؟؟

- كسرت الفازة فضربتها ودخلت الحمام طلعت مالقتهاش .

- تبقي راحت فين !!!؟!

- أنا سألت سيد البواب قال انها استلقت منه جنيه ومشيت .

- أكيد سافرت البلد .

- جايز .

- لا مش جايز أكيد .

- خلاص حنعمل لها إيه ؟!

- احنا اللي حنعمل إيه من غيرها ياممدوح ! يعنى كان لازم
تضربها ! لازم تسافر لها وتسالحها

- اللى حصل ماقدرتش امسك اعصابي . بكره اسافر بلدهم واروح اصالحها
جاءت سيارة المدرسة وظل السائق يطلق الصافرة حتى تحضر
رمانه لتتسلم سونيا وتحمل عنها الحقيبة كعادتها . سمعت سالي
صوت الصافرة فهبطت واستلمت ابنتها وحملت عنها الحقيبة .
سألت الطفلة :

- أمال فين رمانه ؟

- سافرت البلد

وعندما دخلت سالي الشقة قالت لممدوح :- عاجبك كده !!

- ما قلنا خلاص حاسافرلها .

أما رمانه فقد استقلت القطار عائدة إلى بلدتها، وبعد أن هبطت
من القطار سارت فى الطريق الموصل إلى بلدتها ، ، ، وجدت طللمبة
مياه فاغتسلت وشربت ثم واصلت سيرها إلى القرية، وعندما دخلتها
كانت تحاول أن تخفى الامها عن أهل القرية الذين مرت بهم
... هرع إليها إخوتها كعادتهم عندما رأوها وهم يصيحون :

– رمانة جات رمانة جات

رحبت بهم ولكن فى فتور قال احد اخوتها

– امال فىن الحاجات اللى جبتيها لنا ؟

قالت رمانة : – ضاعت فى القطر

سمعت أمها إختوها وهم يهللون لمجيئها . أسرعت تقابلها

وأخذتها فى حضنها انفجرت رمانة باكية . ضربت الأم يدها

على صدرها قائلة

– ياخرابى يا بنتى فيه إيه ؟؟

– مافيش يا امى

– امال بتعيطى ليه ؟

– تعبانة يا أمى

– من أيه كفى الله الشر ؟؟

أشارت رمانة إلى أمها كى تبعد إختوها .

قالت الأم : – سيبوا أختكم علشان هى تعبانة وعايضة تستريح

دخلت رمانة وأمها حجرة من حجرتى المنزل . قالت الأم –

فى إيه يا بنتى ؟؟

حكّت رمانة لأمها ما حدث ؛ صرخت الأم : - يا خرابى يا
ابن الكلب لازم ابوك يجيب أجله

ثم خرجت ونادت أحد أبنائها قائلة : - اجرى يا واد يا عليوة
انده لابوك بسرعة

خرج الطفل مسرعا بينما عادت الأم إلى ابنتها فوجدتها راقدة على
الأرض ؛ جلست بجوارها ووضعت رمانة رأسها على فخذ أمها ودموعها
تنهمر ؛ والأم تبكى هى الأخرى وتصب اللعنت على ممدوح وأهله
حضر الأب فوجد ابنته راقدة على الأرض واضعة رأسها على
فخذ أمها فقال منزعجا : - فيه إيه ؟

قالت الأم : - اقعد يا سيدى، اسمع سيدى؟؟

حكّت الأم ما قالته رمانة.. أصاب الذهول الرجل وأحس
كأن سكيناً غرس فى قلبه وتهوى جسده على الأرض جلس
كمن أصابه الشلل.. أطرق برهة ثم رفع رأسه وقال لزوجته
:- اسمعى يا ولية اكفى على الخبر ماجور اقللى بقك مش عايز
فضايح مش عايزين حد من البلد يعرف والا تبقى معرة وسط البد

قالت الأم : - معرة إيه يا راجل ده شرف بنتنا

- أنا عارف لكن نزود الفضيحة ونخليها تبقى بجلاجل

- وهنسكت يا عبد الواحد، هنسكت يا راجل ؟
- طبعاً مش هنسكت بس اصبرى واهدى علشان نفكر بعقل
- عقل ايه يا عبد الواحد لازم ننتقم منه وان انت متصرفتش انا
اللى هتصرف
- حتعملى ايه ؟؟
- حاعمل ايه ؟ حاخذ سكينه حامية واسافر افتح بطنه
- تبقى هبله وعبيطة
- أمال يعنى اسكت
- قلت اهدى واصبرى وبلاش فضايح احنا عايزين نكتم على
الخبر لغاية ما نشوف حنعمل ايه
- بدأت ثورة الزوجة تهدأ وقالت لزوجها : - مش حاسيب
حق بنتى مش حاسيب حقها يضيع .
- ربك هو المنتقم الجبار .
- ونعم بالله يا عبد الواحد بس النار اللى قايده في دى مين يطفيها؟!
- ربنا هو اللى حيطفيها وحق رمانه هيجى ان شاء الله ومش هيضيع
- ازاي يا عبد الواحد ؟؟

— قلت اصبرى علشان نعرف نفكر

قالت رمانة: — حتعمل ايه يا ابا

— حاروح للعمدة يشوف حل مش هو اللي ودانا له .

توجه عبد الواحد إلى دوار العمدة فوجده جالسا مع شيخ

الغفر وأحد أعيان القرية

وكعادة أهل القرية عندما تواجههم مشكلة فإنهم يلجأون إلى

عمدتهم كما أن العمدة مشهور عنه حل مشاكل القرية وعدم

تصعيدها إلى المسئولين

ألقي عبد الواحد عليهم السلام .. قال العمدة :

— خير يا عبد الواحد فيه إيه ؟

— عايزك في كلمتين .

— اتكلم يا عبد الواحد .

— ماعليهش يا حضرة العمدة لما تخلص لأنى عايزك لوحدنا

قال الرجل الذى يجلس مع العمدة مستنكرا

— هو انا غريب يا عبد الواحد

قال عبد الواحد : — أبدا والله يا حاج ماتآخذنيش

قال العمدة : - خلاص يا عبد الواحد استنى شوية

- حاضر يا جناب العمدة

جلس عبد الواحد فترة قصيرة قام بعدها الحاضران بعد أن استأذنا من العمدة وانصرفا وأصبح عبد الواحد بمفرده مع العمدة..

قال العمدة : إيه يا عبد الواحد فيه إيه؟

- يا حضرة العمدة انا واقع فى مصيبة وعايز حضرتك تشوف لها حل

- ياساتر يارب .. مصيبة؟

- فعلا مصيبة يا حضرة العمدة .

- اتكلم يا عبد الواحد .

عايز حضرتك قبل ما اتكلم توعدننى ان الكلام اللي حا قوله هيفضل سر بينى وبينك لأن لو حد من أهل البلد عرفه حتبقى معرة وجُرسة وسط البلد ومش هاقدر ارفع راسى

- أوعدك يا عبد الواحد .

قص عبد الواحد على العمدة كل شئ.. أطرق العمدة رأسه قليلا وظل يفكر وقد احس بالذنب فهو الذى أرسل رمانة إلى ممدوح وأصبح بذلك شريكا له فى الجريمة ولهذا يجب

أن يجد حلاً ، رفع رأسه ونادى :

— ولد يا متولى

حضر متولى.. قال له العمدة :

— جهز الكارثة

تساءل عبد الواحد : — حتعمل إيه يا حضرة العمدة

— حاروح لضابط النقطة .

— أبوس إيديك بلاش .

— اطمن يا عبد الواحد ما حدش حيعرف حاجة وماتخافش

جاء متولى قائلاً : — الكارثة جاهزة يا جناب العمدة

نهض العمدة قائلاً : — يلا يا عبد الواحد

ركب الاثنان الكارثة وقادها متولى... قال العمدة :

— اطلع بينا على النقطة

وانطلقت بهما الكارثة.. كان الاثنان- العمدة وعبد الواحد - صامتين طوال الطريق فالعمدة يشعر بالألم لما حدث لرمانة ويتصور أنها الآن تلعن من أرسلها إلى ممدوح ، أما عبد الواحد فقد تجمد تفكيره ولم يعد يفكر فى شئ منتظرا ما سوف يقوم به العمدة من عمل.

العمدة تجاوز الستين من عمره بقليل ويتمتع بحب أهل قريته وهو يتعامل معهم بحكمة، يلجأون إليه في حل مشاكلهم ولا يقصر في حلها، فهو حريص على ألا تتخطى مشاكل قريته حدودها، ويخضع الجميع لحكمه في حل مشاكلهم، فقد اشتهر عنه حيده وعدله ما جعل الجميع يخضعون لحكمه، ولهذا كانت مشاكل القرية نادرة الحدوث، وهذا ما جعل عبد الواحد يلجأ إليه طالبا معونته في حل مشكلته، إضافة إلى أنه هو الذى أرسل ابنته إلى ممدوح .

كانت نقطة الشرطة تبعد عن القرية عدة كيلومترات وعندما وصلها ترجل الرجلان وتركوا متولي خارجا خارج النقطة .

سأل العمدة الجندي الواقف أمام النقطة :

— سعادة البية موجود ؟

أجاب الجندي بالاجاب ولما أصبحا داخلها وجدا اثنين من الجنود جالسين على مكتب صغير قديم فقال لهما العمدة :

— حد مع سعادة البية ؟

قال أحد الجنديين : — البية لوحده

قال العمدة :- ادي له خبر انى عايز اقابله

نهض الجندي وطرق الباب ثم دخل وعاد قائلاً :- اتفضل يا عمدة .

قال العمدة لعبد الواحد :- استني هنا شوية يا عبد الواحد .

طرق العمدة الباب ثم دخل

قال أحد الجنديين :- هو فيه إيه يا عبد الواحد ؟

- أبدا مافيش.. العمدة جاي لسعادة البيه قال لي تعال معاي سليني .

- هو العمدة ما لقاش حد غيرك يسليه

- اللي حصل .

بعد فترة رن جرس التنبيه فقام أحد الجنديين ودخل حجرة

الضابط . قال له الضابط :- ابعت الراجل إللى بره

خرج الجندي ونادى عبد الواحد :- تعال كلم سعادة البيه .

دخل عبد الواحد . قال له الضابط

العمدة . حكى كل حاجة تقدر تاخذ بنتك وتروح قسم الهرم

تعمل محضر

قال عبد الواحد : وبعد المحضر ؟

- حيجيبوه ويستجوبوه وبعدين يحولوه على النيابة

- وبعد النيابة

حيكشفوا على البننت عشان يتأكدوا من كلامها وتبقي قضية

- ياخبر ياسعادة البيه معنى كده ان الفضيحة حتبقي بجلاجل
- ماهو ده الإجراء القانوني .

ما اقدرش اعمل كده يابيه عشان فضيحتي في البلد

- أمال عايز إيه ؟

- حضرتكو الحكومة ممكن تلاقوا حل تاني

أطرق الضابط قليلا .. تصور ما يعانيه عبد الواحد من الام
وهو في نفس الوقت مقهور لا يستطيع الانتقام من ممدوح , فلو أراد
ذلك فأن الأمر سينتشر في القرية ، وتلوك الالسنة سمعة ابنته
وهذاما يخشاه ، ولهذا حز الأمر في نفس الضابط وأخذته الشفقة
على عبد الواحد ، لأنه يريد الانتقام لابنته دون أن يعرف أحد في
القرية ما حدث. قال لعبد الواحد :

- اسمع يا عبد الواحد انا حابعتك لواحد صاحبي في قسم الهرم
وحاوصيه عليك وانت تاخذ بنتك بكره وتروح له وهو اسمه
لظفي بك شعبان وتقول له انا جاي من طرف مجدى بيه
حافظ وانا حاتفق معاه على اللي حيعمله

- كتر خيرك يا سعادة البيه هات إيدك ابوسها

- العفو يا عبد الواحد يلا مع السلامة

انصرف العمدة وعبد الواحد من النقطة وعندما وصل إلى المنزل
حكى لزوجته وابنته ما حدث في النقطة، وفي اليوم التالي سحب
عبد الواحد ابنته وذهب بها إلى قسم الهرم وطلب مقابلة
الضابط لظفي شعبان فسمحوا له بالمقابلة عندما رآه قال
- مجدي بيه كلمنى وشرح الموضوع

قال عبد الواحد :

- ربنا يخليكم يا بهوات ويعلى مراتكم .

- طبعا انت عايز تلم الموضوع .

- طبعا يا سعادة البيه بس برضه سعادتك ماتنساش حق بنتى

وجه الضابط لظفي كلامه إلى رمانه : ترضي تتجوزيه ؟

ردت رمانه : لأيا بيه واحد زى ده ما لهوش أمان

- خلاص اسمعوا اللي انا حاقوله انا حاستدعيه واهدده يكتب

كتابه عليك وتاني يوم يطلقك

صاح عبد الواحد: الله أكبر ربنا يخليك يا بيه

- النهارده ايه في الأيام ؟

– النهارده الثلاثاء

– تيجوا لي يوم الجمعة

– حاضر يا باشا ربنا يخليك

– يلا مع السلامة

– قوللي لي يا رمانة اسمه بالكامل وعنوانه

– اسمه ممدوح زكي وساكن في شارع السنترال نمرة ٢٢ شقة ٧

– يلا مع السلامة

انصرف عبد الواحد وابنته يحدوهما الأمل في حل مشكلة رمانة

وفي يوم الجمعة التالى ذهب عبد الواحد إلى قسم الهرم وطلب

مقابلة الضابط لطفي وبمجرد أن دخلا حجرة الضابط قال للجندي

الذي ادخلهما

– روح هات المتهم ممدوح زكي من الحجز

ذهب الجندي وعاد بممدوح الذي فُوجئ بوجود عبد الواحد

ورمانة فامتقع وجهه... قال الضابط موجها كلامه إليه :

– عارفهم ولا اعرفك عليهم

رد ممدوح : دي كانت شغالة خدامة عندي

- عليك نور عارف انت عملت إيه ؟
- دي حرامية وكداية وأنا طردتها
- لما هي حرامية ما عملتلهاش محضر سرقة ليه؟
- أنا قلت المسامح كريم
- هي بقي مش مسامحة وعاملة لك محضر اغتصاب
- دي كداية
- بص انا اقول لك احنا حنحولكوا على النيابة، والنيابة حتحولها على الطب الشرعي حيكشف عليها ويثبت كلامها وتبقي يا حلو قضية هتك عرض وتبقي فضيحتك بجلاجل
- أطرق ممدوح ولم يعقب استطرد الضابط
- نحل الموضوع بهدوء والا نمشي فيه قانوني؟
- اللي تشوفة سعادتك .
- اللي اشوفه انك انت تتجوزها
- أتجوز خدمة ؟
- ويعني انت لما اغتصبته ما كنتش عارف انها خدمة ؟
- يابيه مش معقول تطلب أي تعويض

— انت مفكر انها عايزة تتجوزك؟ ده انا اتحايلت عليها عشان تقبل

— كمان ؟؟؟

— شوف ياممدوح تتجوزها النهارده وتطلقها بكره ؛ تبقى هي
خدت حقها منك

— اللي تشوفه سعادتك

— ابعت اجيب مأذن ونعقد الكتاب ؛ وبكرة تيجي تطلقها

— ماشي سعادتك

هكذا تم زواج رمانة وطلاقها في اليوم الثاني للزواج ، وكان هذا
أفضل الحلول ، وقد تم في هدوء وسرية كما أراد عبد الواحد ، قام
العمدة من جانبه بتقديم الشكر للضابط مجدي ؛ الذي قدم
هو بدوره الشكر للضابط لطفي

ادعى ممدوح أنه سوف يسافر إلى بلدة رمانة ليصالحها ؛
قالت زوجته

— اعمل معروف ياممدوح هاتها معاك أحسن انا من غيرها محتاسة

وقالت سونيا :- والنبي يا بابا صالحها وهاتها اصلي انا
باحبها قوي وعايزاها

اختفى ممدوح يوما ؛ ثم عاد إلى منزله آخر النهار سألته زوجته

– امال فين رمانه؟ ماجاتش معاك ليه؟

قال ممدوح متصنعا الأسف :

– ياستي ابوها بيقول جالها عريس ومش عايزها تشتغل

– خسارة ياممدوح حنلاقي زيها فين؟

– أنا كلمت العمدة يشوف لنا واحدة زيها ؛ والراجل وعدني أول

مايلاقي واحدة كويسة حيحبها

أما الطفلة سونيا فقد بكت وقالت : يعني مش حنشوف رمانه

قالت أمها : لاياسونيا هي هتيجي تزورنا

وعندما سأله البواب عن رمانه ؛ أخبره أنها سوف تتزوج

واعزلت الخدمة

قال سيد معلقا : ياخسارة مالناش في الطيب نصيب ده أنا

كنت ناوي اخطبها لابني.

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل الثالث

جلس العمدة مع زوجته وابنيه سالم ورشاد وأخته الحاجة خديجة، كان سالم في نحو العشرين من عمره وهو طالب بكلية التجارة جامعة القاهرة أما رشاد فقد كان في الثامنة؛ وهو تلميذ بمدرسة القرية الابتدائية؛ وكانت أخته خديجة في نحو الخمسين من العمر متوسطة الجمال

قالت خديجة لأخيها العمدة: انت اخدت عبد الواحد اسماعيل ورحت النقطة ليه يا عمدة

- أبدا كنت رايح اسلم على الضابط مجدي؛ وقلت آخذ معايا عبد الواحد يسليني

- وكان عايزك في إيه عبد الواحد؟

- كان بيشتكي من الراجل اللي بنته رمانة بتشتغل عنده

- عمل لها إيه؟

- ضربها؛ البننت جات وقالت انها مش عايزة ترجع تاني

— خلاص براحتها مادام كان بيضريها

— انت شفتينا ازاي؟؟

— كنت باصة من الشباك ، هو مش ناوي يرجعها تاني ؟

— لامش ناوي

— طيب ياعمدة ماتخليها تيجي تقعد معايا تخدمني خضرة

البحراوية كبرت وعايضة ترجع لبلدها

— حاضر يا حاجة حابقي اكلم ابوها ؛ بس اديهم فرصة ينسوا

اللى حصل

— هو حصل إيه يعني؟؟ مش خلاص خلصوا منه

— البننت تستريح لها يومين

— علي العموم ماتنساش

— حاضر يا حاجة

كانت الحاجة خديجة تعيش في منزل صغير ملاصق لمنزل

أخيها العمدة ، تقوم علي خدمتها خضرة البحراوية ، وهي

سيدة طاعنة في السن ولم تعد تقدر على خدمة سيدتها ؛ الأمر

الذي جعلها تطلب من سيدتها أن تعفيها من الخدمة ، وتسمح

لها بالعودة إلى بلدتها بمحافظة البحيرة ، فطلبت منها سيدتها ان

تتمهل حتي تعثر علي من تحل محلها

الحاجة خديجة سيده مطلقه تزوجت ثلاث مرات ولم تنجب فقد تأكدت أنها عاقر ؛ حمدت الله وعاشت وحيدة مع خادمته ورفضت بعد ذلك أي عرض للزواج . فقد تأكدت أن من يطلبها للزواج طامع في مالها فأثرت أن تترك مالها لأخيها وليس لأحد اخر كما انها أصبحت زاهده في الرجال ؛ أدت فريضة الحج مع أخيها وزوجته ؛ وحمدت الله على ما هي فيه ورضيت بذلك .

مرت أشهر قليلة كان الحزن يخيم على أسرة عبد الواحد رغم أن الزمن بدأ يخفف من وطأة هذا الحزن، إلا أنه لم يمحه وانعكس عدم عمل رمانة علي حال الاسرة ، فقد كان راتبها الشهري يعين الاسرة على مطالب الحياة، كما أن ماكانت تحضره من أطعمة وفواكه كل شهر- رغم قلته- يساهم في إسعاد الاسرة وكان يمكن لرمانة أن تعمل أجيرة في الحقول مثل أترابها، إلا أنها أصبحت لاتتحمل مثل هذا العمل نظرا لقسوته وعدم قدرتها علي احتمال العمل في البرد أو الحر بعد أن عملت في مكان لا يبرد فيه ولا حر، ولهذا قبعث في السدار لاتبرحها وإنما فقط تساعد أمها في شئون الأسرة التي أصبحت تجيدها بحكم عملها السابق لدى السيدة سالي

زوجة ممدوح، وقد سألها مرة احد إختوتها

— هو انت مش حتروحي تشتغلي تاني في مصر ؟

أجابته رمانه بقولها :

— أصل البيه مسافر ولما يرجع يحلها رينا

قالت الحاجة خديجة لأخيها العمدة : يا عمدة قلت لك شوف

لي البنات رمانه بنت عبد الواحد... خضرة خلاص مابقتش تنفع

وعايزة تسافر بلدها.... دي عايزة اللي يخدمها

قال العمدة : حاضر يا حاجة

نادى العمدة على الخفير متولي وقال له : روح لغاية بيت

عبد الواحد اسماعيل وقول له كلم العمدة

ذهب متولي إلى بيت عبد الواحد وأبلغه أن العمدة يطلبه

سأل عبد الواحد

— العمدة عايزني ليه ؟

أجاب متولي : والله العظيم ما اعرف

— فيه حد معاه ؟

— أبدا قاعد لوحده هو وأخته الحاجة خديجة

- روح انا جاي حاغير الجلابية وأجي على طول

انصرف الخفير، ودخل عبد الواحد المنزل وهو يسائل نفسه
ماذا يريد العمدة؟؟ هل جد جديد؟ وأخبر زوجته وابنته بذلك
وظل الثلاثة يخمنون فيما يريد العمدة . وأخيرا قالت رمانة : خبر
بفلوس بكرة يبقي ببلاش، روح يا ابا شوف العمدة ايزك ليه .
ذهب عبد الواحد إلى العمدة ألقى عليه السلام ثم وجه كلامه
إلى الحاجة خديجة :

- ازيك يا ست الحاجة .

ردت عليه : ازيك يا عبد الواحد اقعد عايزينك في كلمتين

- تحت امرك يا ست الحاجة

جلس عبد الواحد في مواجهة العمدة وخديجة منتظرا أن
يسمع ما يريد منه العمدة

قال العمدة : أنت عارف يا عبد الواحد أن اختى الحاجة
خديجة عايشة لوحديها مع خضرة البحرأوية وخضرة بقت ست
عجوزة وعايضة ترجع بلدها وبعدين انا مالقيتش احسن من بنتك
رمانة تقعد مع الحاجة خديجة

أطرق عبد الواحد قليلا ثم قال : يا حضرة العمدة انت جمالك
مغرقانى ولو جيت على حد من عيالى ما قدرش أتأخر بس أدينى
فرصة اخذ رأي رمانه

- طيب خد رأيها وبراحتها خالص

نهض عبد الواحد وألقى السلام وانصرف وعندما عاد إلى
منزله سألته زوجته وابنته

- كان عايزك ليه العمدة ؟

- العمدة عايز رمانه تشتغل عند اخته الحاجة خديجة

أسرعت الأم قائلة : بنتى مش حتشتغل عند حد تانى

- ماتتسر عيش يا سنية وفكرى بالعقل بصى يا بنتى يا
رمانه الحاجة خديجة ست وحدانية يعنى عايشة فى بيتها
لو حديها وما حدش معاها غير خضرة البحراوية ، وخضرة
بقت ست كبيرة ومش قادرة على الشغل وعايزة اللي يخدمها
فحتسافر بلدها تقعد هناك اليومين اللي فاضلين من عمرها يعنى
ما فيش حد مع الحاجة خديجة ، وبعدين حتبقي معانا فى البلد
مش بعيد عننا وما فيش عند الحاجة خديجة حاجة
تخوف وهى كمان ست طيبة وفى النهاية الرأى رأىك .

كانت رمانة تعلم مدى حاجة الأسرة لمعونتها، كما إنها كانت تريد أن تخرج من البيت بدلا من ان يجمعها الحزن فيه مع أمها، وتريد أيضا أن تجد ما يسرى عنها، ولعل في خدمة الحاجة خديجة ما يخفف عنها آلامها، و لهذا قالت :

— اللي تشوفه يا ابا .

كان هذا يعنى موافقتها على العمل فى خدمة الحاجة خديجة الأمر الذي جعل أباهما يصحبها فى اليوم التالى الى منزل العمدة الذي رحب بهما واخذهما الى منزل أخته المجاور لمنزله رحبت خديجة بهما ونظرت إلى رمانة ملياً تتأملها.. أحست بشعور غريب تجاه رمانة كما لو كانت ابنتها، ابتسمت في سعادة وقالت :

— تعالى هنا جنبى يا رمانة

جلست رمانة بجوارها ووضعت خديجة يدها على كتفها وقالت لها :

— إن شاء الله هتكونى مبسوفة معايا ومستريحة قوى

قالت رمانة : ربنا يخليك يا ستى

قالت الحاجة خديجة (موجهة كلامها إلى خضرة) : تقدرى
من بكره تسافرى يا خضرة

انصرف العمدة وعبد الواحد ولم يكن العمل الجديد صعبا
على رمانة فقد أجادته على يد سالي زوجة ممدوح وقامت
خضرة بحزم حاجتها تعاونها رمانة.

وفى اليوم التالى أنقذتها سيدتها مبلغا كبيرا من المال، ثم
قامت خضرة باحتضان الحاجة خديجة باكية مودعة،
ثم سلمت على رمانة قائلة : والنبي يا رمانة مش حاوصيك
على ستى الحاجة هى كانت أختى قبل ما تكون ستى وتاج
رأسى ومش حتلاقي زيها أبدا .

وسافرت خضرة إلى بلدتها، وأصبحت رمانة فى خدمة
الحاجة خديجة ، تصحو مبكرا وتقوم بتنظيف المنزل وتجهيز
الطعام وجلب الطلبات من الخارج فى مهارة فائقة، وأصبحت
الحاجة خديجة لا تفعل شيئا حتى عندما كان المؤذن
يؤذن للصلاة تهرع رمانة إلى فرد سجادة الصلاة، كانت تعرف
ما تريده سيدتها بمجرد النظر إليها وكانت سيدتها تأخذ
رأيها فيما تطبخه وتأكله من طعام، حتى أن سيدتها قالت لها
: ماتسألش عن أى حاجة اعلمي اللى انت تشوفيه .

ملأت رمانة حياة الحاجة خديجة بهجة وحركة مما جعلها تتعلق بها ولا تطيق البعد عنها، لدرجة أنها منعت عنها الإجازة حتى لا تفارقها يوما واحدا قالت لها :

— إذا كان على أهلك أديك بتشوفيهم بالنهار وقت ما تحبى

وأغدقت عليها المال والهدايا لها ولأخوتها كما طلبت منها أن تنقل سريرها إلى حجرة نومها بحيث تنام معها فى نفس الحجرة، وكانت الاثنتان تجدان متعتهما فى الحديث معا . قبل النوم يحلو لهما السمر فتجلس كل منهما على سريرها فى مواجهة الأخرى يتحادثان وتحكى الحاجة خديجة ذكريات صباها والأحداث التى مرت بها وتقص عليها رمانة ما عايشته وما شاهدته فى القاهرة أثناء خدمتها والأماكن التى زارتها.

عرفت أسرة عبد الواحد طعم الراحة من جديد، بل أكثر مما سبق وخفت الآلام وإن كان شبح الماضي يطاردهم رغم أن الزمن والحياة الجديدة مع الحاجة خديجة خفف عنهم وطأة ما حدث.

أصبحت رمانة سعيدة بخدمتها للحاجة خديجة ووجدت أن الله عوضها خيرا، ولكن مسحة الحزن كانت لا تفارق محياها اشتد تعلق خديجة برمانة وتدفق حبا فىها جارفا تجاهها حرمانها من الإنجاب جعلها تصب أمومتها المكبوتة فى حب

رمانة، بحيث أصبحت تصدق أنها ابنتها فعلا، أما رمانة فقد وجدت فيضا من السعادة يغمرها، وأصبح حب خديجة لها يملكها كما لو كانت أمها فعلا، فمن ذا الذي يجد مثل هذا الحب والعطف والحنان ولا يقابله بمثله ؟

قالت الحاجة خديجة يوما لرمانة :

- اسمعى يا رمانة أنتِ عارفة إنى ماخلفتش وماعنديش أولاد
واتجوزت ثلاث مرات وماخلفتش، يعنى العيب كان منى وانا
راضية والحمد لله أنت دي الوقت بنتى

- العفو يا ستى

- اسمعى الكلام اللي باقوله أنا لو كنت خلفت بنت ماكنتش
حاحبها اكتر منك

- ربنا يخليك يا ست

- أسمعى يا رمانة مش عايزه اسمع منك كلمة يا ستى أنا دي
الوقت أمك تقولي لى يا أمي

- يانهار أبيض يا ستى

- برده ، اسمعى يا بنتى انت ماتحبيش تكونى بنتى؟؟

-العفو يا ستى هو انا أطول

- خلاص أنا أمك وانت بنتى

- حاضر يا ستى

- قولت لك مش عايزة اسمع كلمه يا ستى

- حاضر يا أمى الحاجة

- الله يا رمانة يا بنتى تعالى هنا جنبى

انتقلت رمانة إلى جوار الحاجة خديجة، التى احتضنتها فى حنان بالغ... تدفق حنان الأمومة الذى حرمت منه .. خرج متدفقا فياضا ليغمر رمانة

أما رمانة فقد كانت فى غاية السعادة، وأحست أن الله أعطاها حنان هذه المرأة وحبها عوضا لها عما حدث لها، وسألت نفسها لو لم يكن ما حدث هل كانت تصل إلى الحاجة خديجة وحنانها وأمومتها؟؟؟

وما زال الطائر الحزين يواصل الرحلة.....

الفصل الرابع

- أمسكت رمانة بورقة جريدة قديمة تقرأ ما فيها .. نظرت إليها خديجة في دهشة قائلة
- هو أنت بتعرفي تقرأي يا رمانة؟؟
 - أيوه يا أمي الحاجة .
 - اتعلمت فين القراءة والكتابة؟؟
 - علمتنى الست اللي كنت عندهم كانت بتكتب لي الطلبات في ورقة وكنت أقرأها وأجيب اللي فيها .
 - شاطرة يا رمانة .
 - كان نفسي يا أمي الحاجة أتعلم قوى حاسه ان التعليم حلو .
 - وماله يا بنتي حنتعلمي كويس .
 - ازاي يا أمي الحاجة؟؟
 - روعي اندهى الأستاذ عبد الحميد مدرس الابتدائي عارفة بيته؟

- أيوه .

- روعي قوام اندهى له .

- حاضر .

لم تكدرمانة تبدي رغبتها في أن تتعلم حتى سارعت الحاجة خديجة بتلبية رغبتها . وعندما أبدت رمانة رغبتها لم تكن تتصور أن تسارع الحاجة خديجة إلى إجابة مطلبها .

خرجت رمانة وعادت بعد فترة ومعها الأستاذ عبد الحميد وأدخلته على الحاجة خديجة . ألقى التحية وجلس أمامها بينما ذهبت رمانة إلى المطبخ لتعد القهوة للأستاذ عبد الحميد ... قال عبد الحميد :

- خير يا حاجة أنا تحت امرك .

- العفويا أستاذ عبد الحميد تشرب القهوة الأول وبعدين نتكلم.

أحضرت رمانة صينية القهوة وقدمت فنجانا للضيف وآخر للحاجة خديجة ثم جلست بجانبها . قالت خديجة :

- شوف يا أستاذ عبد الحميد : رمانة بنتى بتعرف تقرأ

وبتكتب بس بسيط

- شئ جميل

- أيوه لكن أنا عايزاها تتعلم قوى .. عايزاك تركز معاها ولو حتى تبيجي لها كل يوم وميهمكش المصاريف ، المهم عندي انها تتعلم قوى وبسرعة خالص ، وأي حاجة تحتاجها تأمرنى .
- العفو يا ست الحاجة .. على عيني حاضر
- أنا عايزاك تبدأ على طول
- من بكره إن شاء الله .. حضرى كراستين وقلم يا رمانه .
- حاضر

كان الأستاذ عبد الحميد فى نحو الخامسة والخمسين من عمره ويعمل بالمدرسة الابتدائية الوحيدة بالقرية ، وهو متزوج وله ولدان لم يرغبوا فى إكمال تعليمهما ، واكتفيا بالتعليم الأقل من المتوسط وهو الأمر الذى كان يحز فى نفسه .

بدأ الأستاذ عبد الحميد يحضر يوميا لمنزل الحاجة خديجة ليقوم بالتدريس لرمانه ؛ خص يوما للحساب ويوما للقراءة والكتابة والأملاء استجابت رمانه بسرعة إلى مايقوم بتدريسه لها الأستاذ عبدالحميد ، وأصبحت رمانه تجيد القراءة والكتابة وقواعد الحساب إجابة تامة ، وكانت الحاجة خديجة تجلس معهما وهو يقوم بالتدريس لرمانه ، وكانت معجبة بسرعة وعي وفهم رمانه لما تتلقاه من دروس ، سعيدة سعادة الأم بوعي وذكاء ابنتها

أما الأستاذ عبد الحميد فكان معجبا جدا برمانة الأمر الذي جعله يتفانى في شرح الدرس، ولما وجد أنها أجادت القراءة والكتابة في وقت قصير قال للحاجة خديجة:

- رمانة بقت ممتازة في القراءة والكتابة والحساب إيه رأيك
ياحاجة لو أديها مواد الإبتدائي وأقدم لها على الشهادة الإبتدائية
قالت رمانة بسرعة:

- ياريت يا أستاذ

قالت الحاجة :

- اعمل اللي عايزاه رمانة

وبدأ الأستاذ عبد الحميد يدرس لرمانة مواد المرحلة الإبتدائية إلى أن أصبحت جاهزة لأداء الامتحان، وفعلا قدم لها أوراقها إلى المدرسة الإبتدائية لتؤدي الامتحان (منازل) وأدت رمانة الامتحان ونجحت في الشهادة الإبتدائية

عندما حضر الأستاذ عبد الحميد إلى منزل الحاجة خديجة ليبلغها بنجاح رمانة، احتضنت رمانة الحاجة خديجة وانخرطت الاثنان في بكاء الفرحة.. وأعطت خديجة الأستاذ عبد الحميد مبلغا من المال ((حلاوة)) ثم قالت له :

- بعد كده فيه إيه ؟
 - أنا رأيي يا حاجة ان رمانه ذكية جدا ويا ريت نقدم لها في الاعدادى .
 - اعمل أي حاجة وكل حاجة وما يهمكش أنا عايزاك تتولاها على طول .
 - على عيني يا حاجة . بس هي عايزة مدرسين تانى غيري
 - أنا مستعدة لأي تكاليف هات لها المدرسين اللي انت عايزهم .
- قام عبد الحميد بتكليف المدرسين الذين سوف يدرسون لرمانة في منزل الحاجة خديجة وأقبلت رمانه على التهام الدروس فقد كانت تصارع الزمن حتي تنتهي من الدراسة في أسرع وقت ممكن .
- وقام عبد الحميد بتقديم أوراقها في المدرسة الإعدادية بقرية مجاورة وأدت رمانه الأمتحان ونجحت ... وكانت سعادة الحاجة خديجة ورمانة لا توصف وظلت خديجة تبكي فترة طويلة من فرط سعادتها بنجاح رمانه ورمانة تحضنها وتقبل يدها وهي تبكي
- نقدت الحاجة خديجة الأستاذ عبد الحميد مبلغا كبيرا من المال لرعايته العلمية لرمانة وابتهاجا بنجاحها وحصولها على الشهادة الإعدادية .

كان عبد الحميد يريد ان يتبنى رمانة تعليمياً، نظراً لا خفاقة
فى تعليم أولاده

جلست الحاجة خديجة ورمانة وعبد الحميد. وقالت الحاجة
خديجة :

- لو تحبى تكملى الأستاذ عبد الحميد يتصرف ؟؟

- ياريت يا أمي الحاجة .

- خلاص يا أستاذ عبد الحميد شوف رمانة عايزة إيه

قالت رمانة :

- كفاية على دبلوم التجارة

قالت خديجة :

- اتصرف يا أستاذ عبد الحميد .

التحقت رمانة بفصول الخدمات بمدرسة تبعد عن قريتهم عدة
كيلومترات خصصت لها الحاجة خديجة كارتة يقودها حوذي يذهب
بها إلى المدرسة وينتظرها حتي تنتهى من المدرسة ويعود بها .

وتعود أهل القرية أن يجدوا رمانة راكبة الكارتة يقودها هذا
الحوذي ويعجبون لما أصبحت عليه رمانة من حال، ويتساءلون
عن السر الذي يجعل الحاجة خديجة تفعل كل هذا لرمانة .

قالت إحدى النسوة لرفيقاتها عندما مرت عليهن رمانة راكبة الكارثة ذاهبة إلى المدرسة :

- يا اختى أصل الحاجة خديجة ماخلفتش وعايضة تحس انها مخلفة وعندها بنت بتربيها .

قالت أخرى :

- ما هو من حقها أمال حتودى فلوسها فين !!

قالت الثالثة :

- يا بختك يا رمانة دي أمك ماتعملش كده .

قال العمدة لأخته خديجة :

- اللي بتعمليه مع رمانة ده كتير قوى يا حاجة .

- وماله يا عمدة مش كتير ولا حاجة .

- أنا مابقولش حاجة الناس بتسأل ليه ده كله !

- أنا عملت إيه غير بنت غلبانة باعلمها واربيها .

- بس بتصرفي عليها كتير

- الحمد لله عندي كتير .

- مالك وانتي حرة فيه

- البنت عايشة معايا ليل ونهار، ومابتفارقنيش ومريحانى على الآخريبقى، مش كتير عليها اللي باعمله عشانها كمان ينوبنى ثواب وهي تستاهل كل خير.

- باين عليك بتحبيها قوي؟؟؟

- أنا باعتبارها بنتي .

- اللي تشوفيه يا حاجة

كان العمدة متحفظا في كلامه ونقده لأخته خديجة خوفا من أغضابها، فهو وريثها الوحيد، حيث لا زوج لها ولا ولد، كما إنه التمس لها العذر لأنها تعيش دور الأمومة الذى حرمت منها، ولهذا تشعر بالسعادة تشتري سعادتها بما تقدمه لرمانة، فليدعها تعيش دور الأم فهو أيضا يريد إسعادها، فهي أخته قبل كل شئ ويعزز عليه حرمانها من الولد، كما أن كل ما تملكه ملك يمينه، وسوف يؤول إليه كل ما تملكه وإلى أولاده بعده .

اجتهدت رمانة في تحصيل العلم حتى حصلت على دبلوم التجارة، وكم كانت سعادتها هى والحاجة خديجة، وأصبحت رمانة كل شئ في حياة الحاجة خديجة .. كانت لها الخادمة والابنة وقد أجادت رمانة الدورين .

ورغم ما وصلت إليه رمانه من حب الحاجة خديجة وحصولها على قدر معقول من التعليم إلا ان مسحة الحزن لم تفارق وجهها حتى وهي في أوج سعادتها .. كانت كثيرا ما تجلس صامتة ساهمة مما جعل الحاجة خديجة تسألها :

- سرحانة في إيه يا رمانه ؟؟

- مافيش يا أمي الحاجة

- يا بنتي انا باشوفك بتسرحي كتير

- أبدا يا أمي الحاجة .. عادى مافيش حاجة انت اللي دايمًا قلقانة عليّ .

- أنا حاسة ان فيه حاجة في حياتك دايمًا مخلياك حزينه كل ماتفتكريها .. بس هي ايه مش عارفة !!

- وهو لو فيه حاجة اقدر اخببها على أمي حبيبتي ..

قالت خديجة مداعبة :

- تكونيش بتفكرى في عريس .

- ده آخر حاجة افكر فيها

- ليه يا بنتي مش برده مصيرك لزوج وبيت واسرة ...

- لا يا أمي ربنا يديك طول العمر ويخليك لي انا لا يمكن
اسيبك أبدا

- ليه تسيبيني يا بنتى ؟ تقعدى معايا انت وجوزك عشان
اشوف عيالك وافرح بيهم .

- يا أمى الحاجة انا والله العظيم انا ما بفكرش في الموضوع ده .

- ليه ما تفكريش يا بنتى !!!؟

- خلي كل شئ لظروفه ووقته ..

بدأ الخطاب يتوافدون على منزل عبد الواحد طلبا ليد رمانة
فقد أصبحت فتاة يانعة يافعة، رغم ما يخفيه زيهما الريفى
الذي كانت ترتديه عند الخروج، أما عندما تكون بمفردها مع
الحاجة خديجة فإنها كانت تتخلص من زيهما الريفى، ويظهر
جمالها الحقيقى . و كلما زارت رمانة أسرتها فإن أباه وأمه
يتطرقان إلى مسألة زواجهما، فكانت تخبرهم برفضها التام لفكرة
الزواج، وعندما قال لها أبوها :

- يا بنتى حتقعدى كده لحد إمتى ؟

قالت قولها الدائم :

- كل شئ فى وقته

وقالت لها أمها :

- والآخريا بنتى كل شئ وله آخر
- طبعا يا أمي كل شئ وله آخر وبكره حبيجي الآخر ..
- إمتى يا بنتى ؟؟
- ماتقلقيش علي يا أمي .

أصبح شباب القرية ينظرون إلى رمانه على أنها ابنة الحاجة خديجة وليست خادمته، الأمر الذي جعل خطابها كثيرين، حتى إن بعضهم كان يذهب إلى الحاجة خديجة طلبا ليد رمانه، غير أن رمانه كانت ترفض بشدة وبصورة قاطعة فكرة الزواج، الأمر الذي حير الحاجة خديجة ولم تجد له تفسيراً .

وما زال الطائر الحزين يواصل الرحلة.....

الفصل الخامس

كان سالم ابن العمدة طالبا بكلية التجارة ؛ بجامعة القاهرة وكان يقيم بالقاهرة أثناء الدراسة ولا يعود إلى القرية إلا أيام الإجازات .. وعندما يعود فإنه يقوم بزيارة عمته الحاجة خديجة ... وكان من الطبيعي أن يلتقي برمانة التي كانت تقدم له التحية ثم تجلس بجوار الحاجة خديجة

كان سالم ينظر إلى رمانة في صمت ؛ ويتحدث معها بتحفظ حرصا على مشاعر عمته ، وكانت رمانة أيضا تبادله الحديث بتحفظ ولا تناديه إلا « بالأستاذ سالم »

وقد أعجب سالم بذكاؤها وبإصرارها على التعليم حتى حصلت على دبلوم التجارة .. وكان من الطبيعي أن يتحدثا في بعض المواد التجارية كالمحاسبة والرياضة المالية والاقتصاد ..

ورويدا رويدا تحول إعجاب سالم برمانة إلى حب شديد وأصبح في حيرة من أمره فهو يعلم أن رمانة ليست ابنة عمته وأن الفارق الاجتماعي بينهما كبير ولكن ماذا يفعل لقلبه ؟ كتم هواه ..

كانت عمته تلحظ في عينيه حبه لرمانة ؛ رغم عدم بوحه بذلك الحب ولكنه إحساس الأنثى الذي لا يُخطئ مثل هذه الأمور .
سافر سالم إلى القاهرة لينهي دراسته فقد كانت سنته النهائية ،
وقبل السفر ذهب إلى عمته ليودعها وأيضا لينال نظر رمانه ، وعندما
أخبر عمته أنه جاء ليودعها قبل السفر ؛ ابتسمت وقالت له :
- تروح وتيجي بالسلامة وربنا يوفقك ..

أما رمانه فقد قالت له :

- تسافر وتيجي لنا بالسلامة يا أستاذ سالم

كانت كلمات رمانه قليلة ولكنها كانت كافية لتشبع في نفسه
البهجة ، قولها ”تيجي لنا « أسعده كثيرا وأشاع البهجة في روحه
وظل طوال فترة السفر في القطار ؛ يفكر في رمانه التي ملكت عليه
قلبه .. وتساءل ماذا بعد هذا الحب وماذا سيكون وكيف سيكون؟؟
إنه مستقبل غامض ؛ هل ستسمح له الظروف بالزواج من
رمانه؟؟ وكيف يتقبل هذا الزواج وهو ابن العمدة ومن الأثرياء
؛ وهي بنت عبد الواحد أجير الحقول الذي يعمل يوما كل
عدة أيام؟ هز رأسه بعنف وقرر عدم التفكير حاليا ؛ وإرجاءه حتى
تنتهي السنة الدراسية ويفرغ تماما .

استقر سالم في شقطة وعاونه زميله شكري في إدخال مامعه من حاجات أحضرها من البلدة ؛ وبعد أن جلس ليستريح قال له شكري :

– إزي العمدة وإزي البلد ؟؟

– الحمد لله كويسين

– قضيت الإجازة إزاي؟

– عادي زي كل مرة

ولاحظ شكري إكتئابا يعلو وجه سالم فقال له :

– مالك ياسالم ؟؟

– مافيش

– مافيش إزاي؟ ؛ وهو حصل حاجة لاقدر الله في البلد ؟؟

– أبدا

– امال فيه إيه ياسالم ؟

– مش عارف أقول لك إيه

– قل ياسالم فيه إيه ؟؟

– بصراحة محتار

كان سالم محتاجا أن يشاركه أحد في التفكير ؛ ويحمل عنه
جزءا من همومه .. قال له شكري :

— اتكلم يا سالم احنا أخوات

— الحكاية ببساطة إنني باحب

— وإيه يعني عادي جدا إن واحد يحب واحدة

— لأ مش عادي

— مش عادي ليه ؟؟

— لأن اللي باحبها بتشتغل خدامة عند عمتي

— خدامة ؟!!

— أيوة خدامة

— وإيه يعني الحب مافيهوش خدام وسيد .. الحب حب وبيلغي
كل الفوارق

— كلام نظري إنما عملي مستحيل

— طيب احكي لي بالتفصيل إيه الحكاية ؟

قص سالم عليه قصة حبه لرمانة وعلاقة عمته بها وبعد أن
فرغ سالم من سرد قصة حبه لرمانة قال له شكري :

— يبقى الأمر بسيط يا أخي، رمانة الوقت مش خدمة وعمتك بتعتبرها بنتها... يعني ممكن نقول الوقت إن رمانة بنت عمك مش خدماتها

— على العموم سيبننا من الموضوع ده الوقتي وخليه للزمن نشوف حيعمل إيه فيه

أما رمانة فقد أحست ميلا نحو سالم، وبإحساس الأنثى أحست أنه يحبها ولكن في تحفظ، وخافت من الاندفاع في هذا الحب فقد يحدث ما لا يحمد عقباه، فسالم ابن عمدة البلد وثري ويستطيع أن يتزوج من يشاء وترحب به أكبر عائلات البلد، أما هي فبنت عبد الواحد الفقير أجير الحقول، صحيح أنها تعيش كابنة عمته ولكنها ليست الحقيقة، أضف إلى ذلك كله أن أباه العمدة يعرف سرها وماضيها وأنها كانت تعمل خادمة، وحتى الآن فإن جزءا من وجودها لدى الحاجة خديجة يجعلها بمثابة خادمة، كل هذا جعلها لا تندفع في حبها لسالم بل تضغط على قلبها حتى لا يفلت زمامه وأخيرا قررت أن تدع كل شئ للقدر وتصاريفه.

في يوم من الأيام حضر أخوها الصغير وهو يلهث ويبكي وما إن رآها حتى قال لها :

— الحقي يا رمانة أمك ماتت

— صرخت رمانة باكية وارتمت في حضن الحاجة خديجة، ظلت خديجة تهدئ من روعها ثم قامت إلي دولابها وأحضرت حزمة من النقود وأعطتها لرمانة قائلة لها :

— إدي الفلوس دي لأبوك وخليه يعمل عزا كويس للمرحومة ومايهمكيش المصاريف

أخذت رمانة النقود من الحاجة خديجة وتوجهت إلى دار أبيها، حيث وجدت صراخ النسوة وتجمُّع الرجال، وما إن رآها أبوها حتى توجهت إليه وارتمت في حضنه باكية.. دخلت به الدار واختلت به وأعطته النقود وطلبت منه إحضار اثنين من قارئ القرآن الكريم وإقامة المعزى .

ذهبت الحاجة خديجة إلى دار عبد الواحد لتقديم واجب العزاء لرمانة ولأبيها، قابلها عبد الواحد باحترام شديد وأدخلها حيث النسوة جالسات على حصير مفروش على الأرض وما إن رأتها رمانة حتى أسرعت باحتضانها وأحضرت لها كرسيًا جلست عليه الحاجة خديجة .

كانت النسوة ينظرن إلى خديجة بدهشة وينظرون لرمانة بشئ من الحسد نظرا لحب رمانة للحاجة خديجة وحب الحاجة خديجة لها أثناء العزاء مال أحد المعزين على جاره قائلا :

— بقى عبد الواحد اللي بيشتغل بالأجرة يقدر يعمل العزا ده لمراته؟؟

قال جاره:

— ياسيدي البركة في الحاجة خديجة وبنته رمانة

بعد أسبوع عادت رمانة إلى منزل الحاجة خديجة وقبل أن تعود أعطت أباه ما تبقى معها من نقود وما إن دخلت على الحاجة خديجة حتى ارتمت في حضنها وعانقتها خديجة في حنان دافق قائلة:

— أنا كنت حاجتن وانتي مش معايا

قالت رمانة :

— ربنا ما يحرمنيش منك يا أمي الحاجة

جلست رمانة تفكر.. إن الذي يعرف سرها خمسة، ضابط النقطة وضابط قسم الهرم وأبوها وأمها والعمدة ، أما ضابط النقطة فقد نُقل منذ فترة طويلة ولا أحد يعرف مكانه ولعله الآن لا يذكر مأساتها، وضابط قسم الهرم لا أحد يعرف أين هو وقد يكون لا يذكرها، وها هي أمها وقد رحلت عن الدنيا ولم يعد يعرف سرها سوى العمدة وأبوها .

وبوفاة أمها أصبحت الحاجة خديجة كل شئ بالنسبة لرمانة صحيح أن أباه علي قيد الحياة ولها من الاخوة ثلاث بنت

وولدان ولكن علاقة الابنة بأُمها غير علاقتها بأبيها

كان مما يحز في قلب رمانة ويعصره ألما أنها تعلم أن أمها كانت تريد أن تراها عروسا ثم زوجة لها أولاد، ولكن ماذا يفعل الطائر الحزين وهو يواصل رحلته وجناحه لم يزل مكسورا ولم يتم شفاؤه بعد؟ شعرت خديجة ببعض المرض، كادت رمانة أن تُجن ودق قلبها بعنف خوفا عليها وأسرعت تجري إلى العمدة تخبره أن شقيقته مريضة وترجوه أن يأتيها بطبيب... حضر الطبيب وفحص خديجة وكتب لها الدواء، ولما وجد لهفة رمانة وبكاءها طمأنها على صحة الحاجة خديجة، إلا أن رمانة ألحت على الطبيب أن يخبرها بحقيقة مرض الحاجة خديجة، فأكد لها الطبيب أنه لا خوف على صحتها وأن ما بها ليس إلا نزلة شعبية حادة وسوف تتحسن بمضي الوقت مع تعاطي الدواء .

ثم نظر الطبيب إلى العمدة ... وقال :

— الظاهر أن الآنسة بتحب أمها أزيد من اللازم .

لم يعلق العمدة على كلمة ((أمها)) وإنما التزم الصمت ... انصرف العمدة والطبيب وأمسكت رمانة بيد الحاجة خديجة وظلت تقبلها وهي تبكي وتقول : — ألف مليون سلامة ياريت كنت أنا .

قالت خديجة بصوت واهٍ :

— بعد الشر عنك يا بنتى ماتعيطيش أنا كويسة .

قامت رمانة بتمريض الحاجة خديجة واعطأئها الدواء في ميعاده والسهر على خدمتها ولم تكن تفارق سريرها إلا تلبية لرغبتها في قضاء أمر من الأمور .

مرت عدة أيام بدأت الحاجة خديجة تتماثل للشفاء، ولاحظت لهفة رمانة عليها وبكاءها المستمر، وأنها لم تفارق سريرها طول فترة مرضها حتى تم شفاؤها وأصبحت تزاول حياتها بصورة طبيعية .

جلست خديجة يوماً بمفردها بينما كانت رمانة تعد الطعام في المطبخ، وجعلت تفكر أنها مرضت وشفأها الله ولكنها أصبحت لا تضمن أن يمر مرض آخر بسلام وقد تفقد حياتها ... وتساءلت ماذا يكون من أمر رمانة ؟ إنها ليست ابنتها شرعا ولن ترث عنها شيئا من ممتلكاتها، حتى المنزل الذي تقيم به سوف يتم طردها منه وسوف تعود إلى حياة الفقر والعوز، وهو أمر لن تسمح به، ولا بد لها أن تضمن لرمانة حياة طيبة بعد مماتها نادى على رمانة .. حضرت رمانة من المطبخ... قالت خديجة :

— قدامك كتير ؟

— لا خلاص خلصت .

— طيب روى اعلمي كوبايتين شاي وتعالى

— حاضر —

توجهت رمانة إلى المطبخ وأعدت كوبي الشاي ووضعتهما أمام
الحاجة خديجة وجلست بجوارها . وضعت خديجة يدها على
كتف رمانة وقالت :

— اسمعي يا رمانة للكلام اللي حاقله كويس .

— حاضر يا أمي الحاجة .

— يا بنتى شوية المرض اللي عدوا دول فتحوا عيني على حاجة مهمة .

— الله لايعيدهم تانى .

— اسمعي يا رمانة

— نعم يا أمي الحاجة

— لو جرى لى حاجة حتعملى إيه ؟

أجابت رمانة ملتاعة وقد التصقت بها ولفت ذراعيها حولها :

— بعد الشر عنك يا أمي .. أنا كنت أموت .

— بعد الشر عنك انت يا حبيبتى ، يا بنتى كل حي مصيره للزوال

والبقاء لله وحده . لازم نفكر بعقل .

صممت رمانة ولم تعقب فلم تجد ما تقوله .. استطردت خديجة :

– أنت عارفة انى ماليش وريث غير اخويا العمدة الحمد لله وهو عنده الكثير وأنا الحمد لله عندى كتير، وكل حاجة معاه وهو اللي بيشغلها ، عندى اربع فدادين زراعية وفدانين موالح وكلهم معاه وحير وحوله بعد ما أروح عند ربنا قاطعتها رمانة

– بلاش والنبي السيرة دى

– يا بنتى الحقيقة حلوة مش مرة زى ما بيقولوا .. وهي دى الحقيقة لو جرى لي حاجة انت مش حتاخدى اى حاجة .

– أنا مش عايزة حاجة عايزة ربنا يدبك طول العمر وأفضل معاك .

– يا بنتى كل شئ في النهاية للزوال واسمعي الكلام انت مش حتاخدى اى حاجة .

– قلت لك مش عايزة حاجة وأنا عايزاك انت بس

– ما هو انا لازم أموت وده شئ طبيعي يا بنتى اسمعي بس الكلام اللي حاقله كويس .. أنا حاديكى فدان لكن مش هاتخديه أرض أخوى حيزعل وأنا ما ليش غيره وجايز يعمل معاكى مشاكل وأنا يا بنتى مش عايزة ازعله .. ده أخويا وماليش غيره .

– ربنا يخليكو لبعض .

— وأنا حايبيع فدان لآخويا العمدة وأديك فلوسه تخليها معاكى للزمن .

صمتت رمانة ولم تعقب فأن ما تقوله خديجة صحيح تماما
فإنه بمجرد وفاتها سوف تفقد كل شئ حتى المنزل الذى تقيم
فيه معها سوف تتركه للورثة .

ذهبت خديجة لأخيها العمدة وعندما كانت معه وحيدة قالت :

— يا عمده أنا عايضة أبيع لك فدان زراعة .

فوجئ العمدة بقولها فقال :

— ليه يا حاجة ؟ أنت محتاجة فلوس ؟!

— ايوه يا عمده .

— طيب ما تاخذى الفلوس اللي انت عايضاها من غير ما تبيعى الفدان .

— لا يا عمده . أنا عايضة فعلا ابيع الفدان وطبعا الأرض أرضك ولا
يمكن رجل غريب تنزلها .

— يا أختى خدى الفلوس اللي لازماكى .

— قلت لك الأرض أرضك وفي النهايه كلة لك ولاولادك بس انا
عايضة ابيع الفدان عشان محتاجة فلوسه .

— بس أفهم عايضة تبيعى الفدان ليه ؟ ما تاخذى الفلوس اللي

انت عايزاها .

- يا عمده ... اشترى منى الفدان

- أمرك يا حاجة الأرض أرضك وانت حرة فيها .

- يا أخويا انا ماليش حاجة عندك .. ما هو كله ليك .

- ربنا يديكى طول العمر يا خديجة . حاضر يا ستي .

- بس أنا محتاجة ثمنه بسرعة

- حاضر يومين ثلاثة بالكتير سيكون عندك ثمنه .. انت عايزة كام ؟

- اللي تحسبه يا عمده معقول أنا حافصل معاك .

- حاضر يا ستي .

مرت ثلاث ايام بعد هذا الحوار بين خديجة والعمدة وإذا بالعمدة يذهب إلى أخته ومعه كاتب وأثنان من الشهود وأعطاه ثمن الفدان وقال للكاتب .

- أكتب العقد يا عبده أفندى وطبعا أنت عارف كل التفاصيل .

كتب عبده أفندى العقد ووقع عليه العمدة وخديجة والكاتب والشاهدان ثم أنصرف العمدة ومن معه .وعندما اصبحت خديجة بمفردها مع رمانة قالت لها :

- الفلوس اهي حتتصرفي فيها ازاي؟؟
- اللي تشوفيه يا أمي الحاجة .
- فكري حتعملي ايه .
- مش عارفة .
- نقعد مع بعض ونفكر براحتنا واهي الفلوس معنا وعلى أقل
من مهلنا ونشوف حنعمل ايه .
- جلس العمدة مع زوجته التي قالت له :
- ياترى اختك محتاجة الفلوس ليه؟؟
- مش عارف والله يا حاجة .
- هي ناقصها حاجة !!!؟؟
- الله اعلم بس حيكون ناقصها ايه !!!؟؟
- قلبي بيقول لى أن الفلوس دى حتديها للبننت رمانة
- يا شيخه حتديها ثمن فدان !!!
- جايز.
- طيب ليه؟؟ ورمانة حتعمل ايه بكل الفلوس دي؟؟

— مش مطمئة

— يا ست هي حرة في ملكها

— حرة ازاي؟؟!!

— جرى ايه يا حاجة وانت ناسية ان الأرض ارضها وهي حرة فيها

— ما هي مالهاش حد غيرك .

— وده يمنع انها تقدر تتصرف زي ما هي عايزة؟؟!! ممكن تبيع

لأي حد لو عايزة تبيع لحد غريب بس هي ماترضاش تنزل حد

غريب الأرض دي أختي وأنا عارفها .

— صحيح هي ماترضاش تزعلك

— ما تنسيش انها سايبه كل أرضها معانا واحنا اللي متمتعين بالأرض .

— ما هي عايشة كويس منها .

— خيرها مش خيرنا احنا .. وده أقل من حقها وهي راضية

ومش عايزة اكثر من اللي هي فيه كتر خيرها .

وما زال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل السادس

- ظلت الحاجة خديجة ورمانة عدة ايام تتشاوران فيما يجب ان تفعله رمانة بثمان الفدان : كان من رأي الحاجة خديجة أن تستغله رمانة في مشروع ينميه بدلا من أن يظل جامدا لا يربو قالت لها رمانة
- طيب وايه هو المشروع؟؟
- نفكر يا بنتى وربنا يوفقنا ان شاء الله حنلاقي .
- باقول لك يا أمي الحاجة ما تيجي نشاور الأستاذ عبد الحميد، ده راجل متعلم وعنده خبرة، وكمان انت عارفة ساعدنى ازاى في التعليم بيعتبرنى زى بنته
- والله فكرة روحى اندهى له .
- ذهبت رمانة واستدعت الأستاذ عبد الحميد .. ولما حضر وجلس امام الحاجة خديجة قال لها :
- خير يا ست الحاجة انا تحت امرك .
- تشرب الاول القهوه وبعدين نتكلم ... يلا يا رمانة اعملي القهوه .

أعدت رمانة القهوة ووضعتها أمام الأستاذ عبد الحميد والحاجة خديجة ثم جلست - كعادتها - بجوار الحاجة خديجة ملتصقة بها .

قالت خديجة :

- شوف يا استاذ عبد الحميد، الكلام اللي حا قوله لك عايزة يكون سر بنا

- سرك في بير يا حاجة .

- انت عارف احنا قد ايه بنعزك وبنعتبرك واحد مننا .

- ربنا يعلم يا حاجة القلوب عند بعضها .

- انا بعت فدان أرض زراعية لاخويا العمدة ووهبت ثمنه لرمانة وعايزة اشغله لها في حاجة تنفعها .

- ربنا يخليك ليها يا حاجة وما نتحرمش منك .

- وعاوزاك يا أستاذ عبد الحميد تدور لنا على مشروع كويس ويكون مضمون ونشغل فيه الفلوس .

- حاضر يا حاجة ادينى فرصه كام يوم ان شاء الله ربنا حيوقفنا ونشوف لها مشروع كويس .

- يا ريت يا استاذ عبد الحميد انت دى الوقت على المعاش وفاضي ومش حاوصيك يكون كل شئ في السر

— حاضر يا حاجة .

استاذن عبد الحميد وانصرف . قالت الحاجة خديجة لرمانة :

— عبد الحميد ده راجل طيب وكله بركه .

— ومخلص قوي يا امي الحاجة شوفي عمل معايه ايه ..

— يا عبيطه كل شئ بثمانه لو احنا ماكناش كرما معاه ما كانش
حيعمل حاجة

عاد عبد الحميد بعد عدة ايام متهلل الوجه وما أن جلس
أمام الحاجة خديجة حتى قال لها :

— لقيت لكو مشروع كويس وان شاء الله هيكون مضمون .

— قل يا عبد الحميد افندى

— انا كنت اول امبارح عند واحد قريبي في مصر بيشتغل في مصنع
بلاستيك ولقيت أن كل حاجة بقت بلاستيك .. الكراسي والاطباق
والشوك والسكاكين والمواسير ... كل حاجة تقريبا بقت بلاستيك
.. بأختصار قريبي فهمنى ان المستقبل للبلاستيك فايه رأيكوا لو
نعمل مصنع بلاستيك؟؟

قالت رمانة وهى مندهشة

— مصنع بلاستيك مرة واحدة يا أستاذ عبد الحميد .

— احنا نبدأ بديه صغيرة واحدة واحدة

قالت الحاجة خديجة :

— والله فكرة مش بطالة ادرسها يا استاذ عبد الحميد كويس مع قريبك .

— انا قلت اقول لكم الأول فإذا وافقتم اسافر لقريبي وادرس معاه كل حاجة

قالت خديجة :

— خلاص يا استاذ عبد الحميد سافر لقريبك وشوف هتعمل ايه معاه وتعال قل لنا .

قامت خديجة الى دولابها واحضرت بعض المال واعطته لعبد الحميد الذي ابدى تمنا في البدايه لكنها اصرت قائلة :

— دول مصاريف السفر

سافر عبد الحميد الى القاهرة وذهب الى قريبه ((الأسطى جابر)) وأفهمه ما يريد وطلب منه ان يطلع على نظام العمل في المصنع الذي يعمل به والالات المطلوبة والخامات وطرق التصنيع وظل معه اسبوعا كاملا يدرس على الواقع كل شئ . في النهاية قال له عبد الحميد :

— على فكرة انت حتكون معنا لأن احنا من غيرك مش حنعرف نشغل والحاجة خديجة كريمة جدا وحتبسطك ... يعنى حا تدى لك اكثر من حقك

وظل عبد الحميد يغرى جابر حتى وافق في النهاية وقال

جابر لعبد الحميد :

- يا سيدى خلاص لما تخلص ابقي قل لى .

تركه عبد الحميد وعاد الى البلد وتوجه مباشرة لمنزل الحاجة خديجة و أخبرها بما وصل إليه من معلومات وكيف ظل يغرى الأسطى جابر حتى وافق أخيرا على العمل معهم .

بعد ان استمعت خديجة ورمانة جيدا لما قاله قالت خديجة :

- اقعد بقي مع رمانة وادرسوا الموضوع كويس وانا حا قوم اعمل لكم كبايتين شأى

قالت رمانة :

- خليك انت يا امى الحاجة وأنا أعمل الشأى

قالت خديجة :

- اقعدى انتى مع الأستاذ عبد الحميد شوفى مصلحتك وحتعملوا إيه .

جلست رمانة مع الأستاذ عبد الحميد الذي قال لها :

- شوفى يا رمانة أول حاجة عايزين حتة أرض مساحتها ميه وخمسين متر نبنوها ونجهزها وبعدين ناخذ الاسطى جابر يشتري ماكينتين وبعدين نشترى الخامات والمستلزمات اللي يقول عليها .

- والمصنع ده حيكون فين ؟؟
- مش حينفع هنا في البلد .
- ليه ؟؟
- عشان الميه والكهربا والنقل والتسويق .
- عندك حق . نعمله فين ؟
- شوفي المكان اللي انت عايزاه .
- عايزاك تسافر مصر وتروح شارع الهرم وتدور على حنة أرض مناسبة في مكان مناسب مساحتها متين وخمسين متر
- ليه ؟؟
- حنبنى بيت صغير في حدود ميت متر والباقي يبقي المصنع .
- والبيت ده هتقعدى فيه ؟؟
- طبعا . آمال حنساfer رايحين جايين . احنا حنستقر فيه
- عندك حق فعلا .. طيب والحاجة خديجة ؟؟
- طبعا حنكون سوا
- وحترضى تسيب هنا ؟؟

- طول ما هي معايا حتوافق .
- ربنا يخليكو لبعض .
- نادت رمانه على الحاجة خديجة التي كانت قد ذهبت الى
حجرة نومها واستلقت على سريرها .. قالت لها خديجة :
- أيوه يا رمانه .
- مش تيجي تشوفي عملنا ايه ؟
- انتوا مش اتفتقنوا على كل حاجة .
- تقريبا .
- يبقي خلاص انا موافقة .
- استاذن عبد الحميد وانصرف دخلت رمانه على خديجة
قالت لها خديجة: - عملتوا ايه ؟
- حنشوف حتة ارض في شارع الهرم حوالى متين وخمسين متر نبني
بيت صغير في حدود ميت متر وبقية المساحة حتكون للمصنع .
- وببيت ليه ؟
- امال يا امي الحاجة حنفضل رايعيين جايين !!؟ احنا حنقعد
هناك جنب مصلحتنا

- يعنى حنسيب البلد ؟

- لا احنا برده حنيجى كل فترة .

سرحت خديجة قليلا ثم قالت :

- اللي تشوفيه يا رمانة .

- لا يا أمي الحاجة لو مش عايزة بلاش .

- يا بنتى كلامك معقول احنا فينا صحة نفضل رايحين جايين اتكلي

على الله واهي القعدة هنا زى القعدة هناك يعنى هنا بنعمل ايه !!!

حزم سالم وصاحبه شكرى أمتعتهما وحقائبهما استعدادا للسفر

كل الى قريته وبعد ان انجزا كل شئ جلسا يتحدثان قال سالم :

- يعنى في النهاية رأيك أيه ؟؟

- اتكل على الله وخلي امك تكلم ابوك .

- مسالة صعبة ان ابويا يوافق .

- امك ممكن تقنعه .

- ياريت يا شكرى .

عاد سالم من القاهرة بعد أن أنهى دراسته وتوجه الى منزل عمته لزيارتها ولقاء رمانة قابلته بالترحاب . قالت له عمته :

- يعنى كده خلاص مش حتقعد فى مصر بعد كده ؟

قال سالم :

- إن شاء الله ياعمتى مع أن مصر ماحدث يقدر يستغنى عنها .

قالت رمانة :

- مبروك مقدما يا أستاذ سالم .

- الله يبارك فيك .

- وناوى تعمل إيه بعد البكالوريوس ؟

- أبدا حامسك الحسابات لأبويا واريحه شوية بدل ما هو مشغول بالعمودية والأرض والجناين .

فجأة قال سالم :

- انت مش ناوية تتجوزى يا رمانة ؟؟

فوجئت رمانة بسؤاله قالت :

- لما ربنا يريد .

قالت عمته :

- تصور يا سالم ان فيه شبان كتير راحوا لابوها ومارضيتش أبدا .

- ليه يا رمانة ؟

- قلت لك لما ربنا يريد .

- انت كبرت يا رمانة .

- مش مهم المهم ان ربنا يريد .

سكت سالم ... نظرت إليه عمته نظرة ذات معنى وعاد سالم إلى منزله وهو يشعر بشئ من الغبطة ... فقد رفضت رمانة كل من تقدم إليها فهل من الممكن أن تكون قد تفكر فيه ؟

لقد استبد به الهوى وملك عليه روحه ولم يعد قادرا على احتمال ما يجيش به صدره . جلس مع والدته، وجدته شارد الفكر قالت له :

- مالك يا سالم يا ابني ؟

تذكر سالم ما قاله له صديقه شكرى، الأمر الذي حفزه على الكلام كما أنه كان في حاجة إلى أن يبوح لأمه بسرّه ... قال لها :

- أنا خلاص خلصت دراسة وعايز اكلمك في موضوع .

- قول يا حبيبي .

— أنا عايز اتجوز

تهللت أمه وقالت بفرحة :

— يانهار أبيض يافرح بيتي من الصبح ادورك على عروسة حلوة
بنت ناس .

— لا يا ماما ما تتعبيش نفسك انا لقيتها .

— مين هي؟؟

— رمانة ..

صرخت أمه قائلة

— رمانة بنت عبدالواحد ؟

— أيوه يا أمي .

— مستحيل تتجوز واحدة خدامة وابوها بيشتغل بالأجرة ومش من عيلة .

— المهم هي دي الوقتى إيه .

— هي ايه وبتاع ايه وهي خدامة عند عمك

— لا يا أمى دي مش خدامة عند عمتى دى خلاص بقت بنتها .

— كذب .. ومهما عمك عملتها إيه هي برده خدامتها .

- يا أمى دول بيتعاملوا مع بعض زى أم وبننتها .
- ده يا ابنى زى الحمل الكاذب .
- دى حقيقة يا أمى، رمانة خلاص بقت بنتها وعمتى بقت امها .
- مش ممكن ... مستحيل .
- أيا كان الوضع انا عايز اتجوز رمانة .
- وتفتكر ابوك العمدة حيوافق؟؟
- البركه فيك تقنعيه .
- إذا كنت انا مش مقتنعة ازاي اقنعه؟؟
- اعملى معروف يا امى .

أطرقت الأم واجمة حائرة لا تدري ماذا تفعل، فقد وضعها ابنها فى موضع حرج، وفي مأزق كيف تتخلص منه فهي غير مقتنعه، ومتأكدة ان العمدة لن يوافق ولكن ماذا تفعل إزاء رغبة ابنها الملحة؟؟ .. قالت الأم :

- ربنا يفعل اللي فيه الخير .

جلس العمدة على حافة السرير بعد أن خلع ملابسه وكانت زوجته مترددة فى الحديث معه وأخيرا استجمعت قواها وقالت له :

- على فكرة يا عمدة انا عايزة اكلمك في موضوع .
- خير يا حاجة ؟؟
- ابنك سالم ...
- ماله
- عايز يتجوز .
- خلاص خلص دراسة ومن حقه وانا كنت ناوى اكلمه .
- بس هو شايف واحدة وعايز يخطبها ..
- يا ترى مين هي ؟؟
- تفنكر مين ؟؟
- يمكن تكون واحدة زميلته فى الكلية .
- ياريت
- امال مين ؟؟
- رمانه
- انتفض العمدة واقفا وقال :
- رمانه بنت عبد الواحد ؟؟!! مستحيل ...
- والحل ؟؟؟
- ازاي تسمحى له يتكلم كده ؟؟

- حاولت معاه وهو مصمم
- ده لو طلع السما .. بنت عبد الواحد !!؟؟ الخدمة !!؟؟ ازاى
أحط إيدي في إيد عبد الواحد أو اقعد معاه واقول ده نسيبي !!؟؟
لا يا حاجة الواد اتجنن !!!!
- حاولت اقنعه ماعرفتش .
- أودى وشي فين من عمد المركز !!؟؟
- ما على الرسول إلا البلاغ .
- الظاهر البنات سحرت له زى ما سحرت لاختى . لازم اروح
اطين عيشتها وعيشة اللى خلفوها .
- توجه العمدة ثائرا إلى منزل أخته خديجة ودخل عليها
هائجاً وهو يقول: إزاي تسمحى لبنت زى دي تلعب بعقل ابني
سالم !!؟؟ هى نسيت هى مين وبنت مين !!؟؟
- بتقول إيه يا عمده ؟؟
- باقول ده آخرة دلحك لها .
- فيه إيه يا عمدة ؟؟؟
- باقول اللى سمعته بنت خدامة زى دي تلعب بعقل ابني سالم
وعاوزه تتجوزه ؟؟؟

صرخت رمانة :

- والله العظيم ..

قاطعتها خديجة قائلة :

- اسكتى يا رمانة ماتتكلميش انا اللى حاتكلم .

- حتتكلمى تقولى إيه ؟

- وحياتك عندى يا عمدة، وانت عارف حياتك عندى تساوى إيه وغالية قد إيه، وحياة النبى اللى زرناه سوا وحياة الكعبة اللى طفنا حواليتها، رمانة ما تكلمت مع ابنك سالم فى كلام خارج ولا كلام زواج .. وهي من الأساس رافضة فكرة الجواز، مع إنى اتحايلت عليها كتير، ولو كانت بنت مش كويسة ما كنتش عملتها بنتى ولازم تعرف يا عمدة ان دي مش خدامة دى بنتى اللى ماخلفتهاش، ولو كان لى بنت ماكنتش حاحبها اكثر من كده صدقنى يا عمدة .

انفجرت رمانة باكية وقالت :

والله العظيم انا ماعملت أى حاجة ولا قلت أى حاجة وماليش

أى ذنب ..

قالت خديجة :

- اسكتى يا رمانة .. لازم تعرف يا عمده ان ابنك سالم مؤدب

ومتربي ورمانة متربية كويس .. دي بنتى يا عمدة انت عارف ان احنا لا يمكن نغلط ولا بنحب الغلط .. مش احنا يا عمده .

هدأت ثورة العمدة وانصرف خارجا وقد بدأ يفكر ... هو يعلم سر رمانة وأنها ترفض الزواج فعلا، ولهذا اقتنع بكلام اخته، وتأكد ان رمانة لم تسع للزواج من ابنه، وإنما هو الذى يسعى للزواج منها ..

جلست رمانة تبكى بحرقه، احتضنتها خديجة مواسية ومحاولة التخفيف من قسوة حديث أخيها، وكان مما أراح صدر رمانة ما قالته عنها خديجة، وأنها ليست خادمة بل هي ابنتها التي لم تلدها، وأنها لو كانت أنجبت ابنة فلن تحبها أكثر من حبها لها ... كل هذا في مواجهة من ؟ في مواجهة العمدة .. أخيها .

أما العمدة فقد عاد إلى منزله وقابل ابنه سالم وصاح فيه :

— اطلب بنت أكبر واحد في البلد في المركز كله أجوزها لك أما رمانة بنت عبد الواحد فمستحيل

— ليه

— من غير ليه هو كده وخلص .

— خلاص يا بابا سيب الموضوع ده دي الوقت

— أحسن .

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل السابع

حضر الأستاذ عبد الحميد إلى منزل الحاجة خديجة وجلس مع رمانة يخبرها أنه عثر على قطعة أرض مساحتها مائتين وخمسين مترا بشارع الهرم كما أرادت وقابل صاحبها واتفق معه على الثمن وطلب منه أن يمهلّه عدة أيام حتى يعاينها المشتري . قالت رمانة

– أنا موافقة من غير ماأشوفها

– بس لازم الست خديجة وانتِ تروحوا تشوفوها

– ماشي بكرة إن شاء الله نساfer سوا

في اليوم التالي كان عبد الحميد بصحبة الحاجة خديجة ورمانة في طريقهم إلى القاهرة وقد استقلوا سيارة خاصة تقلهم ذهابا وإيابا وفي الطريق كانت رمانة تفكر في شارع الهرم الذي شاهد بداية رحلتها الحزينة ولم تطأه قدماها منذ أن غادرته

وصلوا قطعة الأرض وأعجبهم موقعها وطلبت رمانة منه أن يذهب بهم إلى مالك الأرض، ذهبوا إليه وقابلوه وطلبوا منه كتابة عقد البيع والتوقيع عليه بينه وبين رمانة وأخبره عبد الحميد

أنه سوف يأتيه غدا لتسليمه الثمن واستلام عقد البيع ، ثم غادروا القاهرة عائدين إلى بلدهم .

وعندما وصلوا إلى المنزل جاءهم سالم قائلا :

- ماعليهش يا عمتي ماتزعليش من العمدة

- خلاص ياسالم العمدة كان فاهم غلط ؛ وانا فهمته الحقيقة

- أنا آسف يا عمتي

- اسمع يا سالم ؛ أنا من ناحيتي أتمنى إنك تتجوز رمانة لأنك ابن أخويا وهي بنتي لكن أبوك العمدة الله يسامحه عمل لنا حكاية مالهاش أساس

- إيه رأيك يارمانة في الكلام اللي بتقوله عمتي

- اسمع يا سالم ؛ أي بنت في الدنيا تتمنى انها تتجوزك لأنك ابن ناس و متربي و متعلم وكفاية أمي الحاجة تبقى عمتك ؛ يعني كل الصفات الحلوة فيك

- أنا مايهمنيش أي بنت في الدنيا ؛ أنا يهمني رأيك انت

- أنا حاقول لك رايب بصراحة قدام أمي الحاجة ؛ انا فعلا باحبك ياسالم لكن انسى موضوع الجواز

- يعني إيه ؟؟؟؟

— يعني انت في حالك وأنا في حالي

— مش معقول إزاي بنحب بعض وكل واحد يبقى في حاله ؛ ؛ تيجي إزاي ؟؟

— تيجي زي ماتيجي .. يعني ننسي موضوع الجواز على الاقل دي الوقت

سكت سالم ؛ ثم انصرف ؛ وعندما عاد إلى منزله قال له أبوه صائحا :

— أنت كنت عند عمك ؟

— أيوه

— مش عايزك تروح هناك تاني

— حاضر مش هاروح تاني

في اليوم التالي سافر عبد الحميد حاملا معه النقود ؛ وعاد حاملا عقد البيع وناوله للحاجة التي طلبت منه أن يعطيه لرمانة لأنها صاحبة الشأن ؛ والعقد باسمها

قالت له رمانة :

— عايزاك ياأستاذ عبد الحميد بسرعة تخلص المباني يعني شهر بالكثير يكون المبني جاهز عايزه الشغل فيه يتم بالليل والنهار عشان يخلص بسرعة

— معنى كده إني حاقعد في مصر على طول

— إنت دي الوقت على المعاش وعيالك متجوزين وكل واحد في بيته ؛خذ شقة في مصر وأقعد فيها أنت ومراتك، وباشر الشغل هناك وما تتنقلش لغاية ماتخلص، والفلوس اللي أنت عايزها خذها ؛وكل ماتحتاج تعال خد ؛بس أهم حاجة السرعة سافر عبد الحميد إلى القاهرة ؛وطلب من جابر أن يدلّه على مقال نشيط ينجز له المهمة في أسرع وقت ممكن .. دلّه على مقال يعرفه جابر، ذهب إليه وعهد إليه عبد الحميد بناء منزل صغير بجوار المصنع واشترط عليه أن يكون العمل ليلا ونهارا حتى ينتهي العمل في أقرب وقت ممكن

وبدأ المقال فعلا في العمل بنشاط بالغ لينتهي العمل كما طلب منه جابر وعبد الحميد .

جلست الحاجة خديجة مع رمانة يبحثان ماسوف يفعلانه..
قالت رمانة :

— بعد المبني مايخلص نساfer ونقعد في مصر جنب المصنع

— وحنسيب هنا يارمانة؟؟

— أمال حنباشر شغل المصنع إزاي؟؟

— أهل البلد حيقولوا إيه ؟

— يقولوا عملوا مصنع وقعدوا جنبه عشان يشغلوه

أطرت الحاجة خديجة قليلا ثم قالت :

— وأنا .. حاكون هنا ولا في مصر

— ياخبر ياأمي الحاجة ما اقدرش أقعد من غيرك ؛ رجلي على رجلك

— لك حق ياابنتي المفروض نكون جنب المشروع

— لأ مش جنبه ؛ نكون عايشين مع بعض

— ربنا يوفقك ياابنتي

قام عبد الحميد بما كلف به خير قيام ؛ فقد أنجز المبني وتم فرش المنزل بالأثاث وأصبح جاهزا للسكن ثم سافر إلى البلد ليخبر الحاجة خديجة ورمانة بأنتهاء العمل في المبني وأن المنزل جاهز للسكن تم كل هذا في سرية تامة ولم يدر العمدة بما انتوته أخته ورمانة ، زهبت خديجة إلى منزل أخيها وقالت له :

— أنا يا عمدة مسافرة مصر

— حتعملي إيه في مصر

— أقعد شوية هناك

— شوية يعني قد إيه ؟

- شهرين ... ثلاثة
- ياه!! شهرين ثلاثة
- مش كثير
- طيب ليه؟؟
- أغير جو وأزور الأولياء واتفرج على مصر
- حتقدي فين؟؟
- في لوكاندة
- وحدك؟
- لأمعايا رمانة
- وحنفعد المدة دي كلها ما نشوفكيش؟؟
- لأ أنا حاجي كل فترة قصيرة أشوفك وأطمئن عليك
- اللي يريحك يا حاجة
- فين سالم عشان أسلم عليه؟
- حضر سالم وسلمت عليه عمته وانتهزت فرصة خلوها به وقالت له
- ابقي تعالى يا واد بكرة سلم على رمانة قبل ما تسافر

— تسافر فيين ؟

— حنسا فر مصر

— حتعملوا إيه في مصر ؟

— حنقعد هناك ونسيب البلد

— معقول ؟

— أيوة أسكت بقى مش عايزة حد ياخذ باله

في اليوم التالى حضر سالم وسلم على رمانه وقال لها

— ليه حتسيبي البلد ؟

— مصير الحى يتلاقى

— طيب ليه يارمانه ؟؟

— خلاص يا أستاذ سالم الكلام مالوش لزوم

أغلقت رمانه النوافذ وأبواب الحجرات ثم طلبت من الحوذى أن يحمل حقيبة الملابس ويضعها في الكارته ؛ وأغلقت الباب الخارجى وأعطت المفتاح للحاجة خديجة التى أعطته لسالم قائلة :

— خليه عندكم لما أعوزه أخده

وركبا الكارته ... وانطلقت بهما يقودها الحوذى وأشارت

رمانة إلى سالم إشارة الوداع .. وصلت بهما الكارثة إلى محطة السكة الحديد حيث استقلا القطار إلى القاهرة

قالت زوجة العمدة لزوجها

- إزاي تسمح لاختك خديجة تسافر مصر لوحدها

- ماهي معاها رمانة

- وده مش غلط يا عمدة ؟

- ما اقدرش أفق ضد رغبتها

- وهي حتعمل إيه في مصر

- بتقول حتتفسح وتشم هوا

- متهيألى يا عمدة فيه حاجة في الموضوع ده

- يعني حيكون فيه إيه ؟

- متهيألى البنت رمانة وراء الموضوع ده

- اسمعي أما أقول لكأولا دي رغبتها وأنا ما اقدرش أمنعها

- إزاي ؟

- هي حرة تعمل اللي يعجبها وهي كبيرة وعاقلة ؛ وكفاية إن

البنت رمانة حتكون معاها وحتغور من وش ابنك ومش حيشوفها

— من الناحية دي عندك حق

— ده اللي خالني أسكت وما اتكلمش

كان العمدة سعيدا بسفر أخته مع رمانة ؛ فقد ضمن بذلك
ابتعاد رمانة عن ابنه سالم ؛ وعدم رؤيته لها

كان عبد الحميد في انتظارهما في محطة السكة الحديد وما إن التقوا
حتى استقلوا سيارة أجرة أوصلتهم إلى المنزل الجديد المعد لهما .

دخلا المنزل وأعجبا به بعد أن جهزه عبد الحميد بكل
احتياجاته ، وبعد أن استراحا من السفر تناولا غداءهما الذي أعده
لهما عبد الحميد ، خرجتا تتجولان في المصنع ، كان المصنع صغيرا
لكنه كان كافيا للبداية في العمل ، وقد تم بناء المصنع حسبما أشار
الأسطى جابر.

بعد أن تمت الجولة جلس الجميع ، قال عبد الحميد

— بكرة إن شاء الله حبيجي الأسطى جابر يقعد معاكوا وتتعرفوا
عليه ونشوف إيه المطلوب

قالت خديجة لرمانة

— جهزي عزيمة كويسة يارمانة عشان ناكل مع بعض ويبقى
عيش وملح

علق عبد الحميد قائلا

- تمام ياست الحاجة كلامك دايمًا صح

في اليوم التالي جهزت رمانة عزومة فاخرة وعندما حضر عبد الحميد بصحبته الأسطي جابر ؛ سلما عليهما وعرفها عبد الحميد به كان جابر في نحو الخامسة والأربعين من عمره وتبدو عليه ملامح الذكاء

قال عبد الحميد

- الحقيقة الأسطي جابر قام بدور كبير قوي وأنا بصراحة أقنعتة بصعوبة إنه يشتغل معنا

قالت خديجة

- إن شاء الله مش حيندم وحيكون مبسوط وربنا يجعله وش السعد علي المشروع ولازم تعرف ياأسطي جابر إنك بتتعامل مع أخواتك .. عبد الحميد أفندي ده أخوك وانت عارفه أكثر مننا، وانا اعتبرني أختك أمارمانة فهي قبل ماتكون صاحبة المشروع فهي بنتك

قال جابر

- ربنا يوفقنا لما فيه الخير

قالت رمانة

– مادام القلوب صافية يبقى المشروع بإذن الله حينجح

قالت الحاجة خديجة

– نقوم بقى كلنا نتوضا

قام الجميع واحد تلوالآخرحتى أتم الجميع وضوءهم أحضرت

الحاجة خديجة مصحفا ووضعتهم أمامهم وقالت

– دي الوقت احنا كلنا طاهرين نحلف علي المصحف إن نكون

اخوات مخلصين لبعض ولا نخون بعض

ولما كانت نوايا الجميع صافية مخلصفة فقد وضع الجميع

يدهم علي المصحف وأقسموا علي الإخلاص

بعد القسم قالت خديجة

– نقوم بقى ناكل مع بعض عشان يبقى عيش وملح .

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل الثامن

اصطحب جابر كلا من عبد الحميد ورمانة إلى معرض الماكينات حيث تجولوا في المعرض وعين جابر ماكينتين وقع اختياره عليهما فقامت رمانة بإنهاء إجراءات الشراء وتم نقل الماكينتين وتركيبهما بمعرفة أحد مهندسي المعرض . بعد ذلك تجولوا لشراء مستلزمات الإنتاج .

وعندما تم تجهيز كل شئ وأصبح الأمر جاهزا للعمل قال جابر

- نحتاج لعشرة عمال على الماكينتين .

سألته رمانة :

- هل لازم يكون عندهم خبرة ؟

- مش شرط أنا ممكن اعلمهم .

- تعرف حد

- أيوه

- خلاص هاتهم .

أحضر جابر العمال المطلوبين واجتمع الجميع فى المصنع
انتظاراً لبداية العمل . قالت الحاجة خديجة :

— أنا عايضة الكل يتوضا ونصلى ركعتين لله ونطلب منه التوفيق..
توضاً للجميع وصلى كل منهم ركعتين لله
قال جابر: بسم الله الرحمن الرحيم .

وبدأ العمل ...

دارت الماكينتان وحولهما جابر وعماله وعبد الحميد ورمانة
و الحاجة خديجة .. أقبل الجميع على العمل بحماس ... وبدأ
الإنتاج يظهر ... كانت البداية صنع مواسير الكهرباء والآلات
الكهربائية من علب وبواتات ومفاتيح وبراييز ...

أخذ جابر عينات من الإنتاج وطاف بها على العملاء،
فأعجبهم الصنع والخامة والسعر المناسب، فتعاقدوا معه، واستأجر
سيارة نقلت المنتج، وطاف على العملاء وسلمهم البضاعة وقبض
الثمن وعاد فرحاً إلى المصنع .

دارت عجلة الإنتاج سريعة متلاحقة لتفى بطلبات العملاء
التي ازدادت، وحتى يتسلموا بضاعتهم فى مواعيدهم المحددة .

زاد الإنتاج وزاد الربح وأصبح الجميع فى سعادة .. فقد تكلم
جهدهم بالنجاح والتوفيق .

اتصلت خديجة بأخيها العمدة قائلة :

- ازيك يا عمده ... عامل ايه

- الله يسلمك انت عامله إيه ؟

- أنا كويسة الحمد لله ومبسوطة ومش ناقصني غير إنى اشوفك .

- حتيجي إمتى ؟

- ما تقلقش على وان شاء الله اجى قريب اشوفك

- طيب يلزمك حاجة ؟

- كتر خيرك .. لا إله الا الله .

- محمد رسول الله .

قال جابر لرمانة :

- على فكرة احنا محتاجين كمان ماكينة .

- روح اشترى واحدة.

- وعايزين لها خمس عمال .

— أنا حابعت اجيب اخواتى من البلد يشتغلوا معانا .

— هم كام؟؟

— اثنين صبيان وانت هات الثلاثة التانيين .

قالت رمانه لعبد الحميد :

— سافر بكرة يا أستاذ عبد الحميد وهات ابويا واخواتى .

— أقل لهم إيه ؟

— قل لهم اقلوا البيت وتعالوا رمانه عايزاكم .

— وحيرضوا ييجوا !!!؟

— قل لهم بتقول لكم سيبوا كل حاجة وتعالوا بطولكم .

سافر عبد الحميد . وعاد معه عبد الواحد وأولاده استقبلتهم رمانه بالترحاب، وأفهمتهم أنهم سوف يعملون معها فى المصنع الذى فوجئوا به، وطلبت رمانه من عبد الحميد أن يبحث لهم عن شقة قريبة من المصنع . وسلمت أخويها محمود وعليوه للأسطى جابر أما أختها صابرة فقد طلبت منها البقاء لخدمة والدها وأخويها . وخصصت لأبيها مكانا عند باب المصنع ليراقب حركة الدخول والخروج .

كانت الحاجة خديجة تسافر كل شهر لزيارة شقيقها العمدة
ولاحظ العمدة انها لا تطلب نقودا . فقال لها :

- انت مش عايزة فلوس؟؟
- لا الحمد لله معاي .
- معاكى منين؟؟
- انت ناسي انك شاري منى فدان ؟
- العيشة فى مصر غالية وبتصرفى كتير !!
- لا غالية ولا حاجة .. الأمور ماشية عال ..
- وانت عايشة فى مصر فين ؟
- فى الهرم .
- ومش هترجعى البلد؟؟
- أرجع اعمل إيه .. العيشه هناك حلوة ونظيفة .
- ورمانة مابتجيش معاك ليه؟؟
- مش عايزة تنزل البلد .
- ده حتى ابوها واخوتها مش موجودين .

— أخذتهم عندها فى مصر وببشتغلوا هناك .

— خدامين ؟؟

— لا يا عمدة عمال فى مصنع .

— الله الله عمال فى مصنع !!

— أحسن لهم من الشغل فى الغيطان .

— انا عايز ابقى آجى مرة ازورك .

— تشرف فى أى وقت بس انت عندك وقت ؟؟

— البركة فى سالم ريحني كتير وماسك كل الحسابات .

— بس انا مش عايزة اتعبك ..

— يا ستى ده يوم واحد الواحد يفك فيه عن نفسه .

— ربنا يخلى لك سالم ويطرح البركة فيه .. سالم ابن حلال يا

عمدة .أنا عايزة اشوفه هو فين ؟؟

— أنا بعث اجيبه عشان يسلم عليكِ

— حضر سالم سريعا بمجرد أن اخبره الخفير أن عمته وصلت

وتريد أن تراه .

احتضن سالم عمته وقبَّلها . قالت له عمته :

- تعال وصلني لحد البيت

كانت تريد أن تطمئننه على رمانة فهي تعلم مدى حبه لها

سار معها سالم . قال لها :

- رمانة عاملة ايه يا عمتي ؟

ضحكت عمته وقالت :

- ما انا قلت لك تعالي وصلني عشان اطمنك عليها

- ماجاتش معاكى ليه ؟

- مش فاضية .

- مش فاضية من إيه ؟

- بصراحة هي مش عايزة تيجي البلد .

- دي الوقت انا فهمت انت قاعدة ليه في مصر عشان تقعدى

معها وما تسيبهاش .

- تمام يا واد

- سلمى لي عليها .

- طبعا يا واد من غير ما تقول .

-
- أنا عايز اجى ازوركم فى مصر .
- تشرف فى أى وقت .
- طيب قولى لى العنوان .
- المرة الجاية ... خد رقم التليفون دي الوقت .
- وليه مش دي الوقت؟؟
- اما اقول لرمانة الأول
- حتاخذى إذنھا !!!
- طبعاً مش انت حتيجي عشان تشوفھا .
- واشوفك انت كمان .
- يا واد يا بكاش ما انا معاك اھه
- ابتسم سالم وقال :
- ماشي يا عمتى، واللھ يا عمتى انت شربات
- سافرت الحاجة خديجة إلى القاهرة وتوجهت من فورھا إلى مكتب رمانه وبعد أن عانقتها أخبرتها برغبة سالم في رؤيتها .
- أطرقت رمانه قليلاً ثم قالت : ماشي يا أمى الحاجة لما تسافري المرة الجاية ابقي ادى له العنوان .

رن جرس التليفون .. رفعت رمانة السماعة .. امتنع لونها وقالت :

— لا إله إلا الله ... لا إله إلا الله .. سبحان من له الدوام

قالت خديجة بلهفة

— فى إيه يا رمانة ؟؟؟

— العمدة

— ماله ؟

— تعيشي انت

صرخت خديجة

— آآه يا أخويا

قامت رمانة من على كرسيها واحتضنتها وظلت تُقبلها
وتواسيها ، أوصت رمانة عبد الحميد وجابر أن يهتما بالمصنع
أثناء غيابها واصطحبت خديجة وسافرتا إلى البلدة

ظلتا فى البلدة أسبوعا تتقبلان فيه العزاء وقدماه لسالم وأمه
وكان الفلاحون والفلاحات ينظرون إلى رمانة فى عجب بعد ان
تغير ملابسها ويتساءلون

هل هذه رمانة التى كانت تعمل خادمة فى الماضى ؟ سبحان
مغير الأحوال !!! أما رمانة فلم تعد تحفل بما يقال فلم يعد هذا
يعنيها فى شئ أو يضايقها ما يقال عنها فهي تتوقعه من أهل البلدة .
عادتا إلى القاهرة وباشرت رمانة عملها بالمصنع...جلست
على كرسيها بالمكتب ومالت إلى الورااء قليلا وسرحت بخيالها...
هاهوالعمدة قد مات ومعه سرها وانحصر السر الآن فيها وفي أبيها
اجتمعت عائلة العمدة للتشاور فى من يشغل منصب العمدة
بعد خلوه وحتى لا ينتقل المنصب إلى عائلة أخرى كان المرشح
لهذا المنصب من قبَل العائلة اثنين، سالم وابن عم العمدة الشيخ
رجب وفي النهاية استقر الرأي على ترشيح سالم لكونه ابن العمدة
فضلا عن تعليمه وثقافته .

شغل سالم منصب العمدة وجاءت ذكرى الأربعين فسافرت
رمانة وخديجة إلى البلدة وهناك قابلا سالم العمدة الجديد وزارا
قبر العمدة الراحل وقرأ الفاتحة على روحه وعادتا إلى القاهرة.
دارت عجلة الحياة وتوالى الإنتاج بغزارة، وتدفقت الأرباح
بكثرة ونما المصنع وتنوعت منتجاته...أصبح ينتج مواسير المياه
بكل أقطارها والكراسي والمناضد والأوانى واشترت رمانة مساحة
كبيرة من الأرض المجاورة للمصنع وضمتها إليه كما زاد عدد

العاملين وأصبح لعبد الحميد مكتب خاص به ومعه بعض الموظفين الذين يتولون حسابات المصنع ، وعبد الواحد أصبح له مكتب عند باب المصنع ومعه موظف وعاملان يشرف منه على حركة الدخو ل والخروج وعملية التفتيش ، أما الأسطى جابر فله مكتب صغير وسط الآلات يشرف منه على سير العمل وعملية الإنتاج .

أعدت رمانة لنفسها مكتبا فخما تدير منه العمل ملحق به مكتب خالص للسكرتارية ينظم لها مستندات العمل وتجهيزها للتوقيع عليها ويرأس السكرتارية سكرتير خاص

أما الحاجة خديجة فقد بدا عليها كبر السن وحرزها على أخيها فكانت تقضى الفترات الطويلة جالسة فى الفراندة ساهمة شاردة وخصصت لها رمانة إحدى الشغلات وأمرتها ألا تفارقها لحظة وتقضى لها حاجتها بمجرد أن تتفوه بها مهما كانت هذه الحاجة .

وما زال الطائر الحزين يواصل الرحلة ..

الفصل التاسع

- رن جرس التليفون فى مكتب رمانه، رفعت السماعة، كان المتحدث سالم، بعد أن سلم عليها قال
- إن شاء الله انا جاى بكره ازورك
- تشرف وتنور .. طبعا العنوان معاك
- أيوه معايا .

توجه سالم على العنوان الذى أخذه من رمانه فإذا به لا يجد منزلا وإنما وجد مصنعا ملحقا به المنزل، ووجد لافتة تعلق باب المصنع مكتوبا عليها « مصنع رمانه لأعمال البلاستيك»... ووقف مشدوها تساءل فى نفسه أيتم كل هذا فى سرية تامة بحيث لم يعلم هو ولا والده؟ وكيف لرمانه أن تنشئ مصنعا كهذا؟ لابد أن عمته هى التى قامت بعملية التمويل. اقترب من المصنع أوقفه عامل البوابة وسأله عما يريد فاحتار ماذا يقول له.. سأله:

– مين صاحب المصنع ده ؟

قال العامل

– حضرتك عايز مين؟

– باقول لك مين صاحب المصنع؟

– وانا باقول لك حضرتك مين

– مين المسئول هنا؟

– تعال معايا

– آجى معاك فين؟

– الحاج عبد الواحد هو المسئول هنا

ابتسم سالم ودخل المكتب الذى يلى البوابة، فإذا به يفاجأ بأن الجالس على المكتب هو عبدالواحد إسماعيل والد رمانة، ولا يرتدى جلبابا بل يرتدى قميصا وبنطلونا، قال فى دهشة

– عبد الواحد إسماعيل؟

نهض عبد الواحد مسرعاً قائلاً

– حضرة العمدة، أهلا وسهلا اتفضل يا حضرة العمدة

قال له سالم

– ازيك يا عم عبد الواحد

– الله يسلمك يا حضرة العمدة

— إبراهيم شوكت —

— هو ده مكتبك ؟

— أيوه يا عمدة

ابتسم سالم وقال

— ده مصنع رمانه ؟

— أيوه يا عمدة

— امال هي فين ؟

— فى مكتبها اتفضل معايا

وقاده إلى الداخل حيث مكتب رمانه، وبمجرد أن دخل عيد
الواحد برفقته العمدة رفعت رمانه رأسها من على الأوراق التى
كانت تراجعها وقامت مسرعة قائلة

— أهلا أهلا أستاذ سالم

— إيه ده يا رمانه .. دى مفاجأة مش معقولة !

— اتفضل الأول استريح

جلس سالم وهو ينظر حوله فى انبهار بينما استأذن عيد
الواحد وخرج قالت رمانه

— تحب تشرب إيه ؟

— أى حاجة

ضغطت على زر الجرس، حضرا السكرتير، قالت له رمانة

— هات حاجة ساقعة قوام وبعدين هات قهوة مطبوعة

قال سالم :

— إيه الحكاية يا رمانة ؟

— زي ما انت شايف

— المصنع ده بتاعك ؟

— أيوه

— عملتية ازاي؟

— دي حاجة شرحها يطول وبعدين احكيها لك

أصبح سالم دائم الاتصال برمانة، فأبوه الذى كان يقف حائلا بينه وبينها قد مات وأصبح الأمر ميسورا الآن. وكان كل فترة يسافر إليها فى القاهرة، فيجلسان معا فى الفرنادة المطلة على المصنع... كانت رمانة، تتفرغ تماما من العمل يوم يأتيها سالم للزيارة، وتجلس معها وعمته وهى سعيدة، فقد كانت أمنيتها أن

يتزوج ابن أخيها برمانة وكانت تتيح لهما الانفراد بدعوى أنها تريد أن تستريح قليلا فى سريرها.

قال سالم لرمانة :

— مش هنتجوز بقى يا رمانة ؟

— مهم ؟

— طبعا مهم ماتنسيش اني قاعد لغاية دي الوقت من غير جواز مستنيك وكمان أنت كبرت ومش صغيرة

— أنا من ناحيتى موافقة

— ياه .. أخيرا يا رمانة

سمعا صوت الخادمة وهى تصرخ الحقى يا ستى

— فيه إيه ؟

— ستى الحاجة مابتكلمش .

هرعا داخلين حجرة النوم فإذا الحاجة خديجة راقدة على ظهرها وعيناها زائعتان لا تتحركان.. ناديا عليها فلم تُجِب، أسرعت رمانة إلى التليفون وطلبت طبيب المصنع الذى حضر فوراً فحص الحاجة خديجة ثم قال :

– البقية فى حياتكم

سقطت رمانة على الأرض مغشيا عليها، حملوها إلى سريرها
وقام طبيب المصنع بإفقتها .

نظرت رمانة إلى الجميع وهى تقول :

– أمى الحاجة ماتت ؟ حد يقول لى لا

الجميع صامتون..جلس أبوها بجانبها على السرير وقال

– البقاء لله وحده يا رمانة سبحان من له الدوام

– أمى ماتت يا ابا

– البركه فيك يا بنتى ده انت مؤمنة بالله..مش رمانة اللى تنهز

– المصيبة كبيرة يا ابا

– وانت ان شاء الله أكبرمنها

– عليه العوض ومنه العوض ... الصبر يا رب

حملوا جثمان الحاجة خديجة إلى البلدة حيث تم دفنها
بمقابر القرية بجانب قبر أخيها وأقيمت لها مراسم العزاء

أحست رمانة بكآبة وحزن عميقين، لم تحزن فى حياتها مثل
حزنها على الحاجة خديجة حتى عندما ماتت أمها لم تشعر بهذا

القدر من الحزن وحتى عندما اغتصبها ممدوح، حزنها الآن أشد وأقسى لقد فقدت قلبا صافيا طاهرا ملاءه حبها حتى إنها على يقين من أن أمها الحقيقية لم تكن تحبها قدر حب الحاجة خديجة لها ظلت رمانة أسبوعا كاملا تلازم الفراش يحوطها أبوها وإخوتها وعبد الحميد وجابر .. لا تكاد تأكل شيئا .. يحاولون إطعامها كما لو كانت طفلة صغيرة . مكث سالم عندها بضعة أيام يحاول التسرية عنها وأخيرا أحضر عبد الحميد الشيخ عبدالصمد إمام مسجد المصنع وطلب منه أن يفعل شيئا مع رمانة

دخل عليها الشيخ عبد الصمد وجلس على كرسي بجوار سريرها والجميع يحوطونها قال الشيخ عبد الصمد

الست مسلمة ؟

أجابت بصوت خافت

— الحمد لله أنا مسلمة

— وهل انت غير مؤمنة بقضاء الله ؟

— حاشا لله

— ربنا قال فى كتابه العزيز بسم لله الرحمن الرحيم (كل من عليها فان) قال كل ولم يقل بعض .. صح يا رمانة هانم

- صح يا مولانا

- وهل الحاجة خديجة الله يرحمها أعز على الله من رسوله عليه
الصلاة والسلام

- طبعا لا يا مولانا .

- سيدنا محمد مات ، كل الأنبياء ماتوا تفتكرى الحاجة خديجة
كانت هتخلد

- طبعا لا

- لو ما كانتش ماتت الآن مش كانت هتموت بردة

- طبعا

- خلاص هي دي الدنيا كل واحد له ميعاد وأجل معلوم عند
ربنا وهي جا ميعادها خلاص يبقى نعمل إيه ربنا أراد كده
هنعترض عليه؟

- يا مولانا بس الفراق صعب

- الصبر يا بنتى ربنا خلق الصبر عشان الأمور دي وقال فى
كتابه العزيز (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا
لله وإنا إليه راجعون) نقول الحمد لله ونصبر يالا قومى يا هانم
اتوضي وصلي ركعتين لله واطلبى لها الرحمة.. قومى الله يخليك

قامت رمانة متثاقلة ودخلت الحمام وتوضأت وصلت ركعتين
لله وتوجهت إليه بالدعاء

وأخيرا ذهبت إلى مكتبها متشحة بالسواد...توافد عليها جميع
العاملين بالمصنع يعزونها

طلبت رمانة من أبيها وأخوتها أن يتركوا شقتهم وقيموا
معها، وبدأت تندمج فى العمل عليه يخفف من أحزانها.

مرت عدة أشهر وبدأت وطأة الحزن تخف قليلا وكانت تزور
قبر الراحلة كل أسبوع، تستقل سيارتها يقودها السائق إلى مقابر القرية
حيث تقرأ الفاتحة على روحها ثم تعود فى نفس اليوم وكانت
تجد سالم هناك فى انتظارها ثم يودعها بعد أن تنتهى الزيارة
لم يحاول سالم أن يطرق معها موضوع الزواج..آثر أن يتريث
حتى تمضي فترة معقولة

بدأت زيارات رمانة للمقابر تقل رويدا رويدا إلى أن أصبحت مرة
واحدة كل شهر وصارت دوامة العمل فى المصنع من الكثرة بحيث
أصبحت تشغل كل تفكيرها وعادات الأمور تسير سيرها الطبيعى.

وما زال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل العاشر

جاء سالم لزيارة رمانة كعادته كل فترة وأثناء جلوسهما معا قال لها:

- مستننية إيه يارمانة على جوازنا ؟

- أبدا يا سالم خلاص

- عمتي الله يرحمها كانت أمنيتها ان احنا نتجوز

- أناعارفة وعشان كده أنا مش ممانعة

- يعني مش عشان بتحبيني ؟

- أنا قلت لك قبل كده ومن زمان إني باحبك وما أنكرتش

يعني إن فيه سببين لجوازنا حبي ليك ورغبة عمك

- طيب خلاص بقى نعلن خطوبتنا .. احنا كبرنا قوي

- ماتتسرعش ياسالم

- أتسرع ؟ بعد ده كله وبتقولي ما تتسرعش

— فيه حاجة عايزة أقول لك عليها

— قولي

— لازم تعرف إني لو ما كنتش باحبك ماكنتش هاقول لك لكن
عشان باحبك لازم تعرف الحقيقة

— حقيقة إيه؟

— عايزة أسألك .. العمدة الله يرحمه ما قاللكش حاجة عني ؟

— حاجة إيه؟

— أي حاجة

عمره ماجاب سيرتك

— الله يرحمه .. إنسان . فعلا إنسان كتوم للسر

— سر إيه

— سري أنا ... سري اللي ماحدث يعرفه غيره هو وضابط النقطة
اللي كان قيه زمان

— إتكلمي يا رمانة

— أنا لما كنت هنا في مصر زمان وأنا صغيرة الراجل اللي كنت باشتغل
عنده هددني وقال حاتهمك بالسرقة وادخلك السجن واغتصبي بالقوة

- قال سالم بذعر

- بتقولني إيه !!!

- هي مرة واحدة وهربت وجيت البلد، أبوي راح لأبوك وحكي لي له، العمدة أخذ أبويا وراحوا النقطة، ظابط النقطة بعننا لواحد صاحبه في قسم الهرم، عمل واجب كويس، بعث جاب الراجل اللي كنت باشتغل عنده وهدده وخلاه يكتب كتابه علي وتاني يوم يطلقني، أنا كان ممكن ما أقولش لكن ما قدرش أغشك عشان باحبك

عشان كده كنت دايمًا حزينة

- هو ده السبب... عايزاك تسافر البلد وتفكر براحتك بهدوء
وبعدين تقرر تعمل إيه

صمت سالم؛ ثم انصرف دون أن يتكلم.. إرتاحت رمانة لأنها
أخبرت سالم بالحقيقة فقد كانت هما ثقيلًا تحمله ولا تعرف متي
تأتي اللحظة التي تخبره فيها

مضى أسبوع دون أن يحضر سالم أو أن يتصل بها فاتصلت
هي به وعندما رد عليها قالت له:

- إزيك ياسالم

- الله يسلمك

- أيوة يارمانه

- ووصلت لإيه

كل شئ قسمة ونصيب

- مع السلامة ياسالم

لم يكن هناك كلام تقوله فقد فضلت إنهاء الحديث عند هذا الحد، وضعت السماعة وأجهشت بالبكاء قائلة:

- ياخسارة ياسالم

كانت تعتقد أن حب سالم لها سوف يغفر لها ذنبا لم ترتكبه، ذنبا أكرهت عليه ويعلم الله كما يعلم سالم أنها عاشت طاهرة لم يدنس شرفها إنسان بعد ذلك

أما سالم فقد ظل يفكر.. أنه فعلا يحب رمانه ولكنه لا يقبل أن يتزوجها بعد أن وطأها إنسان غيره.. صحيح أنها أرغمت على الخطأ ولم تستطع أن تقاومه لصغر سنها وخوفها من التهديد وجهلها ولكن هذا كله ليس بمقدوره أن يتقبله. كيف يعاشرها وهو يعلم هذه الحقيقة. هذه الحقيقة التي لا يعلمها إلا الضابط وقد نقل منذ فترة طويلة وأبوه وقد مات ولم يعد يعلمها إلا أبوها.

ظل في حيرة من أمره . هل يلتمس لها العذر؟ كما أنه يحبها ولكنه عندما يفكر أن أحدا غيره قد وطأها فإنه يرفض أن يقبل هذا الأمر أو أن يتقبله.

هدأت رمانة قليلا وجعلت تفكر أنها كانت تعد نفسها لاحتمال ألا يغفر لها سالم وكانت تريد أن تنتقم من ممدوح .. لكنها أرجأت فكرة الانتقام حتى ترى ماذا سيكون موقف سالم .. كان من الممكن أن تنسى أو تتناسى لو أن سالم قبل عذرها، أما وقد رفض فإنها تريد أن تنتقم من ممدوح .. ممدوح الذي سلبها شرفها ثم أفقدها حبيبها ؛ فلتنتقم منه أشد إنتقام

وضعت رأسها بين كفيها واتكأت بكوعيهما على مكتبها وظلت شاردة، دخل عليها سكرتيرها فوجدها على هذه الحالة فقال لها

– مالك ياهانم

نظرت إليه في شرود ثم قالت

– مش عايزة حد يخش علي أو يكلمني

سألها السكرتير

– فيه إيه ياهانم

صاحت به

— مالکش دعوة اخرج برة

خرج السكرتير وظلت هي على وضعها هذا فترة طويلة ثم رفعت رأسها وضغطت على زر الجرس.. حضر السكرتير فقالت له

— هات لي مصلية وإيشارب

— رد عليها

— حاضر يا افندم...

وخرج السكرتير وقامت هي ودخلت الحمام الملحق بالمكتب وتوضأت ودخل عليها السكرتير حاملا المصلية والإيشارب.. فرشت سجادة الصلاة وربطت الإيشارب على رأسها وصلت ركعتين ثم قالت للسكرتير

— خلي المصلية هنا على طول

ثم غادرت المكتب إلى المنزل وفي صباح اليوم التالي عندما حضرت إلى المصنع فوجئ الجميع برمانة وقد ارتدت الحجاب وأصبحت تصلي الصلوات الخمس في أوقاتها

استدعت السكرتير وقالت له

— روح أي شركة سياحية واحجز تذكرتين حج بأسمي واسم أبويا

وعندما حان موعد الحج ذهبت مع أبيها لتأدية الفريضة
وأمام الكعبة جلست تبكي وظلت تناشد ربها قائلة

— يارب... اغفري لي لو كنت أخطأت... يارب انتقم من اللي
ظلمني.. يارب انا باشتكي لك لو تسامحه ده شأنك ولو تعاقبه
ده شأنك... أما أنا يارب مش ممكن أسامحه.. ده حقي وأنا
حرة فيه.. سامحني يارب لو كنت غلطانة.

عادت رمانة بعد أن أدت فريضة الحج هي ووالدها وباشرت عملها
بالمصنع كالعادة.. وذات يوم رن جرس التليفون.. رفعت السماعة قائلة

— السلام عليكم

سمعت صوت سالم وهو يقول

— إزيك يارمانة

لم ترد رمانة ووضعت السماعة

أعاد سالم الاتصال، رفعت السماعة ووضعتها على المكتب

في اليوم التالي حضر سالم إلى المصنع، اتصل بها رجل الأمن
وأخبرها أن الأستاذ سالم موجود ويطلب الإذن بالدخول

قالت له

— قل له الهانم مش موجودة

دخل سالم حجرة عبد الواحد الذي قام قائلاً

— أهلا حضرة العمدة

سأل سالم

— أمال فين رمانة

قال عبد الواحد

— في المكتب يا حضرة العمدة

واصطحبه داخلا المصنع ومتوجها إلى مكتب رمانة.. اتصل
رجل الأمن سريعا وأخبرها أن والدها اصطحب سالم وهما الآن في
طريقهما إليها، فطلبت سكرتيرها وقالت

— بابا جاي ومعاه الأستاذ سالم قل لهم مش موجودة

ثم خرجت تاركة المكتب... حضر سالم مع عبد الواحد إلى
السكرتارية قال له السكرتير

— الهانم مش موجودة يا حاج

قال له عبد الواحد

— يا ابني دي جوة قل لها العمدة برة

قال السكرتير

– الهانم خرجت راحت مشوار

صدم سالم واستدار منصرفا ودخل عبد الواحد على ابنته

بعد انصراف سالم وقال لها

– مش عايزة تقابليه ليه

قالت

– مش عايزة أشوف وشه

– ليه يابنتي دا ابن العمدة الله يرحمه

– أنا عارفة ؛ لكن مش عايزة أشوف وشه

– أمرك يا بنتي

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل الحادى عشر

استدعت رمانة سكرتيرها الخاص وكتبت له اسم وعنوان ممدوح في ورقة وأعطتها له وقالت

- عايزاك تجيب لى كل المعلومات عن الراجل ده وبسرعة وفيه بواب للعمارة اللى ساكن فيها اسمه سيد هل هو لسه موجود ولا ساب الخدمة

عاد السكرتير في اليوم التالى وقدم تقريراً به كل المعلومات المتعلقة بممدوح.. ابنته أصبحت فى الجامعة وهو الآن مدير لإحدى الإدارات بمصلحة المساحة أما الزوجة فقد أصبحت رئيسة قسم بمديرية الزراعة، أما سيد البواب فما زال بواباً للعمارة

طلبت من السكرتير أن يعد لها سيارتها الخاصة، رفع السكرتير سماعة التليفون وطلب من إدارة النقل إعداد سيارة الهانم

غادرت مكتبها، فتح لها السائق الباب، دخلت السيارة وهمّ السكرتير أن يفتح الباب الأمامى ليركب بجوار السائق إلا أنها قالت له

- بلاش انت يا عادل خليك

أعطت السائق عنوان ممدوح وطلبت منه أن يتوجه لهذا العنوان وعندما وصلت السيارة أمام العمارة أوقفها السائق وسارع بفتح بابها خرجت رمانة منها وكان سيد البواب جالسا كعادته على دكته الخشبية أمام باب العمارة وقد بدا عليه الشيب وانتبه إلى السيارة الفاخرة تغادرها هانم أنيقة يفتح لها السائق الباب وترتدى نظارة كبيرة تحجب معظم ملامح وجهها، أقبلت عليه، هب واقفا ، قالت له

- إزيك يا عم سيد

ومدت يدها إليه بعد ان جلست على الدكة، مد سيد يده بسرعة وهو يقول

- الله يسلم حضرتك يا ست هانم

- إنت مش عارفنى يا راجل يا طيب

- أنا لي الشرف إنى اعرفك يا ست هانم

- أنا عليّ دين وجاية اسدده

- العفو يهاانم

- قلت لك اقعد

- جلس سيد بجوارها قالت له

– أنا مديونة لك بجنيته أخذته منك من زمان ومارجعتوش

– العفو يا هانم جنيته إيه ؟

– دى الحقيقة يا عم سيد انا هافكر

صمت سيد منتظرا ما تقوله، رمانه قالت له

– فاكتر زمان رمانه اللي كانت بتشتغل عند ممدوح زكى فى

الدور الخامس شقة سبعة

– أيوه يا هانم فاكرها

– أنا رمانه

هب سيد واقفا وهو يقول

– معقول يا هانم

رفعت رمانه النظارة من فوق عينيها وقالت له

– بص يا عم سيد

– أيوه صحيح بس انت كبرتِ وسبحان العاطى الوهاب

– أيوه يا راجل يا طيب

– إيه اللي حصل يا بنتى والنعيم اللي انت فيه ده جا منين ؟

— ربنا كبير يا عم سيد واللى حصل حصل وربنا بيعوض المظلومين خير

— ونعم بالله

— إزيك وازى أولادك

— بخير والحمد لله

فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها مظروفا وأعطته لسيد قائلة

— ده الدين اللى عليّ

— دين إيه يا بنتى انت لسه فاكرة؟

— عمرى مانسيت يا عم سيد امسك ده حقك وحقك عليا

— العفو يا بنتى

تناول سيد المظروف وفتحه فإذا به مبلغ كبير قال لها

— بس دي فلوس كتير

— دول مش كتير ميت جنيه بس

— بس ميت جنيه بس

— دول اقل من حقك

قامت رمانة وانصرفت قائلة :

— سلم لى على أولادك

فتح لها السائق الباب...ركبت وانطلق السائق بالسيارة ووقف
سيد مذهولا مما رآه..نادى زوجته قائلا

— تعالى يا أم كمال

حضرت زوجته وقالت له

— إيه فى إيه

— فاكرة رمانه

— يااااااااا !! رمانه اللي كانت شغالة عند ممدوح بيه

— أيوه كنت تعالى شوفيها دي الوقت بقت إيه

— ايه يعنى بقت ايه

— بقت هانم وراكبة عربية بسواق

— معقول؟ ومنين جا لها ده كله ؟

— الله أعلم دي حتى فاكرة الجنيه اللي استلفته منى وهي ماشية
ومارجعتوش

— ايوه فاكرة خدته ومارجعتوش

— النهارده رجعت بس كام؟ مية جنيه

- بتقول إيه مية جنيه !!
- أيوه مية جنيه الظرف اهه فيه الفلوس
- إن الله حلیم ستار
- لا يا ام كمال مش رمانة اللي تمشى مشي بطال
- أمال الأملة اللي هي فيها دى كلها منين
- ربك كبيروقادرعلى كل شئ
- فى اليوم التالى رفعت رمانة سماعة التليفون واتصلت بمنزل العميد مجدى حافظ
- منزل العميد مجدى حافظ؟
- رد عليها صوت نسائي
- أيوه يا افندم
- ممكن اكلمه؟
- نقول له مين
- قولى له واحدة انت عملت فيها جميل زمان وعايضة تشكرك
- إيه اللي بتقوليه ده؟

— جميل من خمستاشر سنة عمله معايا

— يا كابتن مجدى كلم تليفون

— مين

— مش عارفة واحدة مش فاهمة منها حاجة وبتقول كلام مش

مفهوم تناول السماعه

— آلو

— سيادتك العميد مجدى حافظ ؟

— أيوه مين معايا ؟

— مش حتفتكرنى اللي لما تشوفنى تسمح لي اقابلك

— بخصوص إيه ؟

— موضوع قديم من خمستاشر سنة

— مش فاهم حاجة .

— سيادتك لك جميل في رقبتى ودين عايزة أسدده

— جميل إيه ودين إيه أنا مش فاهم حاجة

— لما أقابل سيادتك حتعرف كل حاجة

– طيب ما تقولي الوقت

– مش حينفع في التليفون أنا جاية لسيادتك بكرة في نفس الميعاد السلام عليكم

وضعت السماعة على الهاتف وفي اليوم التالى في نفس الميعاد توجهت إلى العميد مجدي حافظ .. ضغطت على زر الجرس ... فتح الباب على سيدة في حوالى الخامسة والثلاثين من عمرها. قالت

– سيادة العميد موجود ؟

– أيوة يا افندم نقول له مين ؟

– أنا اللي اتكلمت إمبراح

– اتفضلي

دخلت رمانة :توجه إليها العميد مجدي قائلا

– ممكن أتشرف بحضرتك ؟

– أنا رمانة عبد الواحد صاحبة مصانع رمانة للبلاستيك

– اتفضلي ياهانم

جلست رمانة وجلس مجدي في مواجهتها .. وقال

– أقدر أعرف سبب زيارتك ؟

— طبعا ؛ بس ممكن تنادي المدام

— ليه؟ المدام دخلها إيه؟

— أبدا عشان اشكرك وتسمع كلامي وتشوف قد إيه انت راجل عظيم

توقع مجدي خيرا من أسلوب كلامها، نادى على زوجته،

حضرت، قال لها

— الهانم عايزاك تكوني موجودة وهي بتتكلم .. اتفضلي اتكلمي

قالت رمانة

— من حوالى خمستاشر سنة سيادتك كنت ملازم أول

— أيوة

— وكنت رئيس نقطة الجمالات

— أيوه

— فاكر سيادتك لما جالك عمدة كفر سلامة وكان معاه راجل

غلبان اسمه عبد الواحد إسماعيل

— مش مهم كملي

— العمدة وعبدالواحد راحوا لك عشان تتصرف في موضوع بنت

كانت بتشتغل خدامة عند واحد في الهرم واغتصبها بالعافية

؛ وهربت منه وجات على البلد

– أيوة افتكرت حتى أبو البنت مارزيش يخليني أعمل محضر
؛ وبعته للعميد لطفي شعبان في قسم الهرم

– تمام ياباشا

– تمام تمام ده حتى أنا حكيت للمدام على الحكاية دي

– الحقيقة سيادة العميد لطفي شعبان عمل الواجب وزيادة عارف
عمل إيه

– قال لي أنه خلى الرجل يتجوز البنت وتانى يوم طلقها وده
كان اتفاقي معاه

– تمام يا افندم... عارف سيادتك البنت الخدامة دي تبقي مين؟

– طبعا ما أعرفهاش لأنني ماشوفتهاش والموضوع ده كان من زمان

– البنت دي هي أنا

– انتِ؟

– أيوة يافندم

– لكن بتقولي إنك صاحبة مصانع رمانة للبلاستيك

– صحيح

— صحيح إزاي وانتِ كنتِ خدامة

— ربك كبير ومشوار طويل مشيته ؛ وربنا وفقني لأن ربنا دايما
مع المظلومين

— ونعم بالله ؛ لكن إزاي وصلت للي انتِ فيه ؟

— قصة طويلة وكفاح طويل رحلة الطائر الحزين وما فيش وقت
عشان احكي لك ؛ بس الحمد لله لازم تعرف انه كفاح شريف

— ده أكيد وإلا ما كنتيش حكيتِ حكايتك بصراحة

— أنا مش مكسوفة من اللي حصل لأنه كان غصب عني وكنت
صغيرة وجاهلة وضعيفة

— طيب أنا يهمني أعرف إزاي وصلت للي انتِ فيه

— حاقول لك باختصار .. فاكر العمدة ؟

— أيوة فاكره

— كان له أخت عاقر ما بتخلفش خدتنى أشتغل عندها ؛ اشتغلت
عندها بإخلاص ؛ حبتني واعتبرتني بنتها، باعت فدان أرض لأخوها
وادتني تمنه، عملت المشروع ده وربنا وفقني ؛ المصنع كبير وحالتي
المالية بقت ممتازة

— بس باين عليك متعلمة

— أنا اتعلمت عند الست دي .. علمتني لغاية مأخذت دبلوم التجارة

— شيء رائع .. والمطلوب مني إيه دي الوقت ؟

بعد ماوصلت للي أنا فيه قلت لازم كل واحد يأخذ حقه

اللي عمل في جميل لازم اشكره واللي ظلمني لازم أحاسبه

— أنا ما عملتش غير الواجب

— اتصرفت كإنسان محترم واهتميت بموضوعي وبعطني لإنسان

محترم قام معايا بالواجب، لولا حضرتك كنت بقيت إنسانة مدمرة

— شكرا

— لأنا اللي متشكرة وجاية أقدم لسيادتك شكري

— العفو ياستي

فتحت حقيبة يدها وأخرجت منها مظروفا وناولته للعميد

مجدي قائلة

— دي هدية بسيطة مني إوعى تفكر ان دي رشوة لأن أنا ماليش

طلب عندك ده دين وباسده

— دين إيه وإيه اللي في المظروف ده ؟

— ده عقد شقة تمليك لسيادتك في العمارة بتاعتي

— شقة تملكك ؟

— ده قليل جدا من اللي تستاهله

— أنا مش فاهم حاجة

— بعد ده كله ؟ بعد اللي شرحته لسيادتك؟ إنتوا السبب في اللي أنا
وصلت له كنت هانتحر عشان الفضيحة

وقامت واقفة.. قال مجدي

— بس اللي يستاهل الشكرالعقيد لطفي

— كان حيعرفني منين أو يخدمني إزاي لولا توصية حضرتك

— بس أنا ما اقدرش آخذ العقد ده

— قلت لسيادتك ده حقك مش منة مني أو تبرع ده حقك في ثروتي
اللي لولا موقفك معايا كان زماي بنت ضائعة يتحكم فيها ندل

وانصرفت دون أن تدع له فرصة للإعتراض، وقف مجدي

وزوجته في دهشة

قال مجدي لزوجته

— تصدقي اللي بيحصل ده؟

— الدنيا فيها حاجات كتير أغرب من الخيال

— بس على فكرة البننت دي أصيلة، وفلوسها أكيد كلها من الحلال
ومافيهاش قرش حرام

— أكيد كانت مظلومة وعشان كده ربنا اداها

أطل مجدي وزوجته من النافذة المطلة على الشارع، شاهدت رمانة
وهي خارجة من باب العمارة التي يقيمون فيها وشاهدت السائق وهو
يسارع بفتح باب السيارة ورمانة تدخلها وينطلق بها السائق....
ينظر كل منهما للآخر في عجب .

ومازال الطائر الحزين يواصل الرحلة

الفصل الثاني عشر

اتصلت رمانة تليفونيا بمنزل ممدوح ؛ ردت عليها سالي قالت لها

– مين معايا

– إزيك يامدام سالي

– الحمد لله مين معايا

– أنا رمانة

– ياه ؛ رمانة ؛ إزيك يابنتي

– الحمد لله

– انتِ وحشتينا قوي

– وانتوا كمان ان شاء الله بكرة الساعة ستة حاكون عندكم

– تشرفي يا رمانة البيت بيتك

– بس المهندس ممدوح والآنسة سونيا يكونوا موجودين

– إن شاء الله

— مع السلامة

أبلغت سالي زوجها وابنتها أن رمانة التي كانت تعمل لديهم
خادمة اتصلت بها وسوف تزورهم غدا.. قالت سونيا

— زمانها كبرت وبقي عندها أولاد

قال ممدوح وقد تذكر فعلته :

— ياتري شكلها إيه الوقت

قالت سالي

— البنات كانت حلوة ؛ وأكيد الوقت لسه حلوة

قالت سونيا

— هي جاية تشوفنا والاعشان تشتغل ؟

قالت سالي

— ياريت هو أنا أنسى أيامها

قال ممدوح

— على العموم بكرة حنشوف

وجعل ممدوح يفكر في رمانة..... ما الداعي الذي جعلها
تتذكرهم الآن بعد هذه المدة الطويلة؛ قد تكون الرغبة في العمل

لديهم ؛ وقد تكون محتاجة للمساعدة بعد أن تزوجت وزادت
أعباؤها ولماذا لا يكون الحنين إليه

في الميعاد ذهبت رمانة برفقة اثنين من الحرس، ضغطت زر جرس
الباب ؛ فتح الباب وظهرت سالي التي فوجئت بفتاة غاية في الشياكة
والملبس الأنيق الغالي؛ وخلفها رجلان يبدوان غاية في القوة .. قالت سالي

— حضرتك مين؟

— أنا رمانة

— مش معقول .. رمانة

خلعت رمانة نظارتها .. أخذتها سالي بالحضن ؛ كانت ابنتها
سونيا خلفها ؛ أسرعت وعانقت رمانة .. قالت لها سالي

— اتفضلني يارمانة

دخلت رمانة بتؤدة وكبرياء، وجدت ممدوح واقفا ينظر لها في ذهول

قالت له

— إزيك ياممدوح

فوجئ الجميع بلهجتها غير العادية وعدم احترامها لممدوح،
فقد قالت له ممدوح ولم تقل ممدوح بيه، لم يرد ممدوح فقد
أحس بالإهانة وتوجس شرا ثم قال

– معقول انتِ رمانة !!

– طبعا أنا رمانة

ثم جلست على مقعد بالصالة بغير أن يطلب منها أحد
الجلوس بينما وقف الرجلان خلفها

قال ممدوح

– مين دول؟

– دول البودي جاردز

قال ممدوح في دهشة

– مش ممكن تكوني انتِ رمانة؟

– افكرني كويس .. بصي يامدام سالي انتِ وسونيا البيه بتاعك
مش فاكربي وأنا مضطرة أفكره قدامكم

عرف ممدوح غرضها فصاح فيها

– امشي اخرجي برة

قالت بهدوء

– طبعا حاخرج ؛ بس اتكلم بهدوء وإلا أخلي الحرس بتاعي
يسكتوك غصب عنك

قالت سالي باستغراب

- فيه إيه يا رمانة؟

- تقول انت والا أقول أنا ؛ طبعاً أنت مش حتقول أقول أنا ..
البية بتاعك بسلامته اتجوزني وتاني يوم طلقني

صاحت سالي

- انتِ بتخرفي بتقولي إيه؟!!

- وصاح ممدوح

- امشي اخرجي برة

صاحت رمانة بصيغة التهديد

- اسكت والا حاخليهم يسكتوك بالعافية وانتِ يهانم لازم تعرفي الحقيقة

- إيه الحقيقة

- دي قسيمة جوازي ودي قسيمة طلاقي

ذهلت سالي ثم قالت

- إزاي ده حصل؟؟

- أقول لك إزاي ده حصل، سيادته في يوم من الأيام جا بدري من
الشغل ؛ لقاني نائمة على الأرض من التعب هددني بالسجن؛ وقال

إنه حيثهمني بالسرقة، خفت وصدقته لأنني كنت عيلة وجاهلة؛ وقعتدت أصرخ وأقول له حرام يابيه أنا زي بنتك؛ اعمل معروف شرفي يابيه؛ مافيش فايدة؛ اغتصبني بالعافية، هربت منه ورجعت على البلد؛ وأبويها راح قسم الهرم وعمل له محضر؛ جابوه وهددوه فكتب كتابه علي وتاني يوم طلقني

صرخت سالي

— معقول ياممدوح

قالت رمانة وهي تهم بالوقوف

— ماتسأليهبوش لأنه مافيش عنده أجابة يقولها

— وانتِ الوقتي جاية ليه؟

— بصراحة أنا كنت ناوية أنتقم منه في بنته سونيا لكن قلت حرام هي مالهاش ذنب؛ هي ذنبها إيه تتحمل غلطة أبوها، قلت كفاية اني أفضحه قدامكم

واستدارت منصرفة ووراءها الحارسان، وعند الباب استدارت ووجهت نظرها تجاه ممدوح باشمئزاز وبصقت.

نهاية الرحلة

في يوم جمعة تالى استقلت رمانة سيارتها وذهبت إلى مقابر القرية، فقد أحست بشوق إلى أمها خديجة.. وكانت مفاجأة أن تجد سالم هناك

ألقت عليه السلام بجفاء.... رد عليها السلام بود... وقفت أمام قبر الحاجة خديجة بكت كما لم تبك من قبل... انتحبت بشدة... صرخت قائلة

- سبتيني ليه؟ أنا محتاجة لك قوي... أتصرفت لوحدي مش عارفة صح والاعلظ... انت اللي كنت دائما صح... يااما الحاجة وحشتيني قوي.... والله العظيم واحشاني أرجوك كلميني... عايزة أكلمك وتكلميني... سايباني ليه لوحدي... أتصرف لوحدي....

تقدم إليها سالم مشفقا؛ وضع يده على كتفها قائلا

- كفاية بقى يارمانة

أزاحت يده من على كتفها.. قال لها

- انتِ زعلانة مني يارمانة
- أزعل منك ليه ؟ انت حر في تصرفاتك
- أعذريني يا رمانة
- طبعاً عاذراك
- أرجوكي ماتكونيش زعلانة مني
- قلت لك مش زعلانة منك انت مالکش ذنب
- ولانتِ لك ذنب
- صرخت رمانة فيه قائلة
- أمال سبتني ليه؟؟ لما أنت عارف إن ماليش ذنب
- فوق احتمالي يارمانة ... لكن الوقت ...
- الوقت إيه؟؟
- خلاص هديت وعاييز أصلح غلطتي
- إنت ما غلطش عشان تصلح غلطتك
- أمال إيه يارمانة؟؟
- إنت اتصرفت بعقلك مش بقلبك

— لكن الوقت قلبي هو اللي بيتكلم

— ماينفعش ... كان فين قلبك ... إذا الحبيب وقت الشدة نسي
قلبه يبقي ماينفعش

— بيبقى غصب عنه

— ما فيش حاجة فوق الحب ... الحب ما حدش يغضب عليه

وتوجهت إلى سيارتها، بادر السائق بفتح الباب ؛ ركبت وركب
السائق نادى عليها سالم

— رمانة ... رمانة

قالت للسائق في حزم

— اطلع على طول

انطلقت السيارة عائدة إلى القاهرة، توجهت رمانة من فورها إلى
غرفة نومها ؛ خلعت ملابسها ؛ استلقت على السرير، ظلت تحملق
في سقف الغرفة حتى غلبها النوم ؛ فنامت ... وإذا بها تجد
الحاجة خديجة أمامها ... صرخت قائلة

— انتِ جيت يا ماما الحاجة ؟؟؟

— أيوة جيت مش انتِ عايزاني ؟؟؟

- محتاجة لك قوي

- عايزة إيه يارمانه ؟

- أنا صح والا غلط ؟

- غلط يارمانه المسامح كريم ؛ وربنا إداكِ حقكِ وزيادة ؛ وعوضك كل خير ؛ تتصرفي كده ليه ؟؟ ممدوح غلط وتاب ؛ تدمري ليه حياته ؟

- أعمل إيه ؛ ما انتِ سبتيني لوحدي... طيب وسالم ؟

- سالم بيحبكِ وانتِ بتحبيه ؛ وانتِ عارفة رغبتني إيه.. اتجوزيه يارمانه
عشان خاطرني أنا باحبكم انتم الأثنين وعايزاكم تبقوا لبعض

- يعني رأيك ...

- أيوة يارمانه اتجوزيه

هبت رمانه من نومها قائلة

- بسم الله الرحمن الرحيم ..ماما الحاجة سمعت كلامي وجات
لي ...حاضر ياماما الحاجة

قامت إلى التليفون.. طلبت سالم ...رد عليها قالت له

- السلام عليكم ياسالم

- فوجئ سالم بها فقال في دهشة

- مين؟ رمانة؟ عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... إيه المفاجأة دي؟؟
- من غير كلام كتير
- فيه إيه يارمانة؟؟
- إنت عايزنى؟؟ والا عايز العمودية؟؟
- طبعا عايزك
- هات المأذون وتعالى فورا
- فورا حاكون عندك.

ووصل الطائر العزيز إلى نهاية الرحلة